الروح

من سلسلة متعة العلم

د.غفار محمد

الروح ...

الإهداء :

إلى الروح القدس ، الفراشة

التي بحثت عن الشرنقة الكونية

التي خلقتها عبر مغامرات

أسطورية حتى عثرت عليها .

الروح ...

" الروح لا تموت مع الجسد ، فهي تختبئ في كلماتنا و أفعالنا و أحلامنا ."

نجيب محفوظ

الروح ...

محتوى الكتاب

- الروح في جسد التاريخ
  - نفخة من روح الله
- أفاتار
  - الروح القدس
- رموز روحية
  - الإسقاط النجمي و الموت الوشيك
- تناسخ الأرواح
  - استحضار الأرواح
- الروح في عالم الفنّ

الروح ...

الروح في

جسد التاريخ

روح الطبيعة البدائية – في حضن الظلال و النار

منذ أولى خطوات الإنسان على الأرض، ومنذ أن أمسكت يده حجرًا أو أشعل النار، شعر بشيء يفوق جسده، شيئًا داخليًا يتجاوب مع قوى الكون من حوله ، و هنا بدأ السؤال الأكبر. الإنسان البدائي لم يعرف بعد مفهوم "الروح" بالمصطلح، لكنه شعر بها **في الرياح الباردة التي تمر بين الأشجار، وفي هدير الأمواج، وفي نداء الطيور. النار كانت أكثر من مصدر للدفء والطهي؛ كانت نافذة إلى الغيب، وساحة لصراع الظلال** ، النار التي رسمها على جدران الكهوف لتخليد الصيد والنجاة، وللتواصل مع قوى خفية ربما كانت برسمها تجسيداً لفكرة الخلود و الاستمرار بعد الانطفاء.

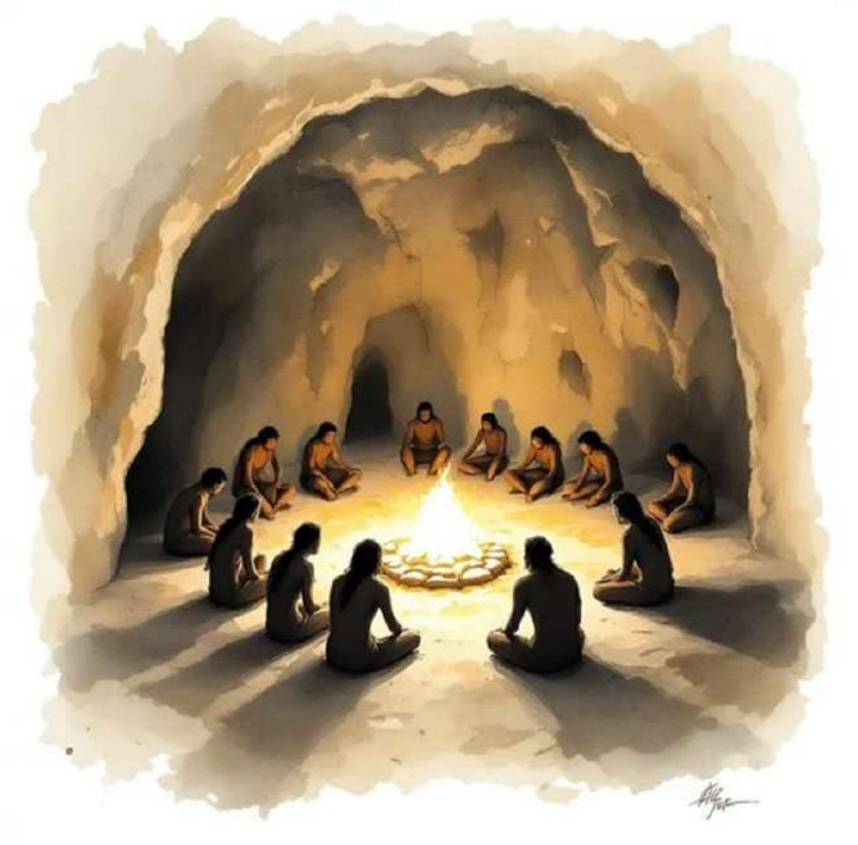

كان الإنسان يرى الحيوانات ليس فقط كفرائس أو مصادر غذاء، بل **كرموز تحمل رسائل الروح**. كان الاعتقاد بأن الأرواح تسكن الطبيعة نفسها، وأن **كل نهر وكل جبل يحمل حياة سرية تتنفس مع روحه**. في هذه الفترة، لم يكن هناك فصل بين الداخل والخارج،

بين الذات والطبيعة؛ الروح كانت امتدادًا لكل ما حوله، تجربة وجودية أولية تحاول تفسير الخوف، الموت، والحياة اليومية.
طقوس الرقص حول النار والغناء والتمائم لم تكن مجرد أساليب اجتماعية، بل كانت محاولات الإنسان البدائي للتواصل مع الطاقة الروحية الكامنة في الكون، لتطمئن روحه وتمنحها معنى.

روح الخلود - الأساطير و الحضارات القديمة

مع ظهور الحضارات، أصبح للروح بعد أسطوري واضح، وارتبطت بالآلهة والآخرة. **المصريون القدماء** قسموا الروح إلى عناصر عدة :

" **كا** " يمثل القوة الحيوية التي تمنح الحياة ..

" **با** " تعكس شخصية الفرد ..

" **آخ** " يربط الإنسان بالموتى والخلود..

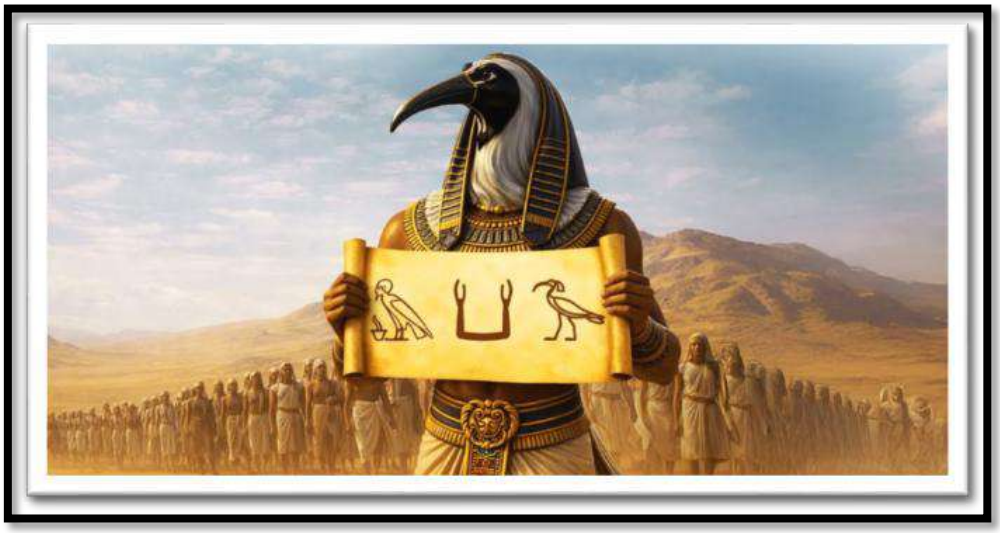

تم تشييد المقابر والمعابد والفخاريات وكل فنونهم لتأمين انتقال الروح، ولتأكيد أنها ليست مجرد ظل بعد الموت، بل كيان حي قادر على الحركة والتأثير.

و في **بلاد الرافدين**، الروح كانت تمر بالعالم السفلي، عالم مظلم ومحكوم بالآلهة، حيث يعيش الإنسان كظل إلى الأبد .

أما **الهند القديمة**، فظهرت مفاهيم **الكارما** و **التناسخ**، حيث تُعاد الروح إلى جسد جديد بعد الموت، لتواصل رحلتها نحو النقاء.

و عند **الصينيين القدماء**، الروح كانت تتفاعل مع الكون عبر طاقات " **تشي** " و" **ين و يانغ** "، وكان فهم الروح جزءًا من فلسفة الانسجام بين الإنسان والطبيعة والسماء.

الفن في هذه الفترة كان لغة الروح : **النقوش على الجدران، التماثيل، الطقوس الموسيقية**، كلها **محاولة لإعطاء معنى للحياة والموت، وللتواصل مع ما وراء الجسد**. الأساطير لم تكن مجرد قصص، بل خريطة روحية لفهم الإنسان لمكانه في الكون وعلاقته بالقوى الخفية التي تحكم الحياة والموت.

روح العقل - الفلاسفة اليونانيون والبحث عن الجوهر

اليونانيون قدّموا للروح بعدًا فلسفيًا جديدًا، بعيدًا عن الخرافة والأسطورة، وجعلوا منها كائنًا داخليًا يبحث عن الحقيقة والجمال.
أفلاطون رأى الروح نبع الحكمة، جوهر الإنسان الذي يسعى إلى الحق، وأن الجسد مجرد قيد يثقل الروح و يعيقها عن الارتقاء.
اعتبر أن الروح تتكون من ثلاثة أجزاء : **المنطق، الشهوة، والغضب**، وكل جزء له دوره في تحقيق التوازن الداخلي والفضيلة.

أرسطو، من جانبه، رأى الروح قوة حياة، لكنها مرتبطة بالوظائف البيولوجية، بحيث أن لكل كائن حي روحًا تحدد نوعه ووظيفته. البشر لديهم **روح عقلية**، أما النباتات والحيوانات فلها **أرواح حسية أو نباتية**. في هذه المرحلة، لم تعد الروح مجرد فكرة غيبية، بل موضوعًا للتحليل والفكر المنطقي.

الأدب والفن اليوناني عكس هذا الاهتمام بالروح : **المسرحيات التراجيدية** كانت وسيلة لاستكشاف صراع الروح مع القدر، مع العواطف، مع الأخلاق. **الشعر والموسيقى** عبّرا عن المشاعر الداخلية، وكأن الإنسان بدأ يشعر بعمق ذاته، ويحلل تجربة وجوده، ويبحث عن معرفة ما يجعل الروح متوازنة وسعيدة.

روح الخلاص - العصور الوسطى والبعد الديني

في العصور الوسطى، أصبح فهم الروح عاطفيًا وميتافيزيقيًا. **الديانات الإبراهيمية** قدمت الروح كهدية إلهية، نور خالد يربط الإنسان بخالقه. في **المسيحية**، الروح كانت وسيلة النجاة والحساب، والقدرة على التمييز بين الخير والشر. في **الإسلام**، الروح " نفحة من روح الله "، جزء خالد من الإنسان يتجاوز جسده وماديات الحياة، ومفتاح لفهم الغيب والغاية من الوجود.

الفن في هذه الفترة كان وسيلة لتجسيد الروح : **الكنائس المزخرفة، المنحوتات، المخطوطات المضيئة**، كل شيء يهدف إلى **رفع الروح نحو النور، لتذكير الإنسان بخالقه وبعالم الروح.** **الفلاسفة**

حاولوا التوفيق بين العقل والإيمان، بين دراسة العالم المادي وبين البحث عن حقيقة الروح، فظهرت مدارس فكرية متعددة تحاول الإجابة عن الأسئلة : **ما أصل الروح ؟ كيف تنجو ؟ وما علاقة الإنسان بها ؟**

روح العقلانية - الحداثة وعصر العلوم

مع **عصر التنوير والحداثة**، بدأ الإنسان يدرس الروح من منظور علمي وعقلاني. علماء النفس مثل **فرويد ويونغ** تناولوا اللاوعي، الدوافع، والصراعات الداخلية، معتبرين أن الروح هي انعكاس لتجربة الإنسان النفسية، ومفتاح لفهم الذات والسلوك.

علم الأعصاب أضاف بُعدًا آخر، محاولًا تفسير الإدراك، الوعي، المشاعر، وربطها بالدماغ، بينما يظل التساؤل قائمًا :

هل ما نسميه " روح " هي مجرد تفاعلات كيميائية ، أم أن هناك بعدًا يتجاوز المادة ؟

الفن والأدب في هذا العصر أصبح وسيلة **لاستكشاف الروح الداخلية، استكشاف القلق، الفرح، الحب، والموت**. الروايات والقصص والمسرحيات الحديثة لم تعد تعكس فقط الواقع، بل تسعى لإظهار الصراعات الداخلية للروح، لعزل الحقيقة الإنسانية وراء الأحداث اليومية.

روح المستقبل - الوعي والذكاء في زمن الرقمنة

اليوم، مع **ثورة التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي**، الروح باتت موضوع حوارات فلسفية، علمية، وأخلاقية شائكة و معقدة أكثر تحاول الإجابة عن أسئلة كثيرة :

هل يمكن للآلة أن تمتلك روحًا ؟

هل الوعي والذات نتاج المادة فقط أم أن هناك جوهرًا أعمق ؟

ما معنى أن تكون حيًا ؟

ما الذي يجعلنا نختبر الحب، الخوف، الإبداع، والأمل ؟

هل تطور التكنولوجيا سيتسبب بجفاف الروح مستقبلاً ؟!

بالختام :

رحلة الإنسان في فهم الروح هي رحلة لا تنتهي، **رحلة من الظلال إلى النور، من النار إلى العقل، ومن الأسطورة إلى العلم، ومن اليقين الديني إلى التساؤل المعاصر.** الروح هي المرآة التي يعكس فيها الإنسان وجوده، شعوره، أمله، خوفه، وكل ما يجعله حيًا. هي الرحلة والهدف، هي السر والأمل .. و هي ما يجعل الإنسان إنسانًا ويمنحه القدرة على تحدي الفناء، في بحث دائم عن معنى الحياة والوجود.

نفخة من روح الله

منذ أن وعى الإنسان ذاته، وقف مذهولًا أمام الجسد الصامت حين تغادره الحياة، وأمام النَّفَس الذي كان منذ لحظة مضت دافئًا ثم صار ذكرى. لم تكن الروح، في المخيال الديني، مجرّد مفهوم ميتافيزيقي، بل كانت **العلامة الفاصلة بين المادة والمعنى، بين التراب والسماء، بين الكائن والغاية.**

وفي الأديان السماوية الثلاثة، تتجلّى الروح بوصفها نفخة إلهية، وسرًّا مقدّسًا، وجسرًا بين المحدود واللامحدود.

الروح في التوراة – نفخة الحياة وعهد الله مع الإنسان

في التوراة، لا تُقدَّم الروح بوصفها كيانًا فلسفيًا مجرّدًا، بل كقوة حياة مباشرة من الله. ففي **سفر التكوين**، تلك اللحظة التأسيسية للوجود الإنساني، نقرأ :

(وجبل الربّ الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حيّة)

هنا، لا يكون الإنسان إنسانًا إلا حين تمتزج الأرض بالنَّفَس الإلهي.

الجسد وحده طين، و **الروح** وحدها سرّ، لكن اتحادهما هو **الكائن البشري.**

كلمة « **نسمة حياة** » في العبرية تحمل معنى الرُّوح والنَّفَس معًا، في دلالة عميقة على أن الحياة ليست امتلاكًا ذاتيًا، بل عطية مؤقّتة.

في الفكر التوراتي، الروح ليست مستقلة تمامًا عن الجسد كما في الفلسفات اللاحقة، بل هي مبدأ الحياة والإحساس والوعي.

الروح في الإنجيل – الروح القدس والحياة الأبدية

مع المسيحية، تنتقل الروح من كونها مجرّد نفخة حياة، إلى فاعل مركزي في الخلاص والبعث والتقديس.

فالإنجيل لا يتحدث فقط عن روح الإنسان، بل عن الروح القدس، بوصفها حضور السماء الفاعل في العالم.

يقول المسيح في **إنجيل يوحنا** :

(الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا)

الروح هنا ليست فقط ما يحيي الجسد، بل ما يربط الإنسان بالله مباشرة. إنها أداة المعرفة الروحية، وطريق التجدد الداخلي.

وفي موضع آخر يقول :

(الروح هو الذي يحيي، أما الجسد فلا يفيد شيئًا)

هذا لا يعني احتقار الجسد، بل الإشارة إلى أن الحياة الحقيقية، في الرؤية الإنجيلية، ليست بيولوجية فحسب، بل حياة متجاوزة للموت.

وتبلغ فكرة الروح ذروتها في مفهوم القيامة والحياة الأبدية :
فالروح لا تفنى بالموت، بل تنتظر اكتمال الخلاص.

الروح في المسيحية ليست عائدة إلى السماء فحسب، بل مدعوّة إلى الاتحاد الأبدي بالله .

الروح في القرآن – السرّ الإلهي وحدود المعرفة

القرآن يتخذ موقفًا بالغ العمق والهيبة من مسألة الروح. فهو يعترف بوجودها، ويؤكد مركزيتها، لكنه في الوقت نفسه يضع حدودًا صارمة أمام العقل البشري في إدراك حقيقتها.

يقول الله تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ * قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)

هنا، تبلغ الروح ذروة الغموض المقدّس. إنها ليست موضوعًا للتشريح العقلي، بل سرٌّ إلهي.

فالروح، في الإسلام، ليست مادة ولا طاقة ولا فكرة، بل أمرٌ إلهي، أي فعل من أفعال الخلق التي تتجاوز قوانين العالم المادي.

ويعود القرآن إلى لحظة الخلق الأولى ليؤكد المعنى ذاته :

(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)

إن إضافة الروح إلى الله — «من روحي» — لا تعني التجزئة، بل التشريف والتكريم.

فالإنسان في الرؤية القرآنية **كائن مزدوج : جسد من طين، وروح من أمر الله،** ومن هذا الازدواج تنبع مسؤوليته، وحريته، وقابليته للسمو أو السقوط.

وعند الموت، لا تفنى الروح، بل تنتقل :

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا)

الروح هنا ليست ضائعة، بل مقبوضة بعناية إلهية، تنتظر البرزخ، ثم البعث.. فأرواح البشر أشبه بأنوار ملونة متفرعة من النور الإلهي الأول و إليه تعود بعد الموت .

نقطة الالتقاء العميقة : الروح كعهد إلهي

رغم اختلاف اللغات والرموز، تلتقي الأديان السماوية الثلاثة عند حقيقة واحدة كبرى :

الروح ليست ملكًا للإنسان، بل وديعة إلهية كفيض من نوره.

في التوراة : نفخة حياة تُسترد.

في الإنجيل : روح تُقدَّس وتُخلَّص.

في القرآن : سرّ من أمر الله، ومحلّ التكريم والمسؤولية.

و الروح ليست مجرد سبب للحياة، بل معنى الحياة ذاته. هي ما يجعل الإنسان قادرًا على السؤال، والخطأ، والتوبة، والرجاء.

في ضوء الأديان السماوية، يبدو الإنسان كائنًا واقفًا على تخوم عالمين :

قدماه في التراب، و روحه مشدودة إلى السماء.

و حياته ليست إلا رحلة هذا الشدّ الدائم بين الأصل والمصير.

الروح، في النهاية، ليست لغزًا يُحلّ فحسب، بل حقيقة تُعاش.

وكل دين، بطريقته، لا يطلب من الإنسان أن يفهم الروح بقدر ما يطلب منه أن يصونها .. لأن من عرف أن في داخله نفخة من الله ، لا يستطيع أن يعيش وكأنه مجرّد تراب.

◉ كيف قضيت أمسيتك البارحة يا صديقي ؟

◉ ذهبت إلى السينما و شاهدت الجزء الثالث من سلسلة أفلام أفاتار ..

◉ و ما تقييمك للفلم ..؟!

◉ رائع كالجزئين الأولين و فكرة البركان تم توظيفها بإبداع ..

◉ أعلم أنك من أنصار هذه السلسلة ..

◉ بالفعل .. ان فكرة العيش في جسد آخر(أفاتار) بينما أنت نائم تستهويني .. إنها أشبه بحياتنا في هذه الدنيا كما أتوقع ، مجرد عالم افتراضي ..

◉ تقصد كالحلم ؟!

◉ بالضبط ، لكنه حلم طويل و واقعي للغاية .. نبدأ به عندما تنام أجسادنا في العالم الآخر و نولد على الأرض و نستيقظ منه مع استيقاظ تلك الأجساد بموتنا على الأرض .. تماماً **كمعنى كلمة أفاتار باللغة السنسكريتية في الفلسفة الهندوسية أي تجسد كائن علوي (ديفا) أو الإله الأعلى على كوكب الأرض ..**

◉ إنها نظرية غريبة ، و من الصعب أن تكون حقيقية !!

◉ على العكس إنها النظرية الأقرب للمنطق ، عدا ذلك كيف سنتذكر في العالم الآخر الأحداث التي جرت معنا في الحياة الدنيا ؟!

◉ لم أفهم !!

◉ تعال لأوضح لك أكثر ، فأخبرك عن أشياء ستصيبك بالذهول و الدهشة بلا شك ..

*****

(هل نحن نعيش في عالم حقيقي بالفعل أم واقع افتراضي لواقع آخر سماوي ، و ما هي الروح بالضبط ؟)

سؤال منطقي و شائع للغاية تناقلته الأجيال عبر صفحات التاريخ و تمدد في كل الأبعاد نظراً لتناوله أفكاراً حساسة و خطيرة .. و في الحقيقة هناك جواب مبدئي و وجيز عليه يقول :

(هذه الحياة الدنيا عبارة عن واقع افتراضي ، مجرد حلم طويل تحلم به أجسادنا الغافية في العالم الآخر ، فيبدأ الحلم عندما نولد على الأرض و نستيقظ منه عندما نموت ، و هذا الحلم بالضبط هو الروح)

أعلم أنها نظرية غريبة للغاية بل أقرب للخيال العلمي ، و مهمتي خلال الصفحات التالية صديقي القارئ هي دفعك لرؤية الحياة من زاوية أخرى مختلفة عما اعتدنا عليه ، كي نصل سوياً إلى تفسير عميق و منطقي كما آمل لهذا الجواب ، و سننجز ذلك بمقاربة السؤال من 5 زوايا غاية في الأهمية :

- نظرية أفلاطون عن الوهم ..
- نبذة عن الواقع الافتراضي (ميتافيرس) ..
- مصطلح نومينون & فينومينين ..
- نظرية الدماغ في وعاء ..
- نظرية الروح هي حلم ..

فهيا بنا لنحلم قليلاً و نعيش في واقع افتراضي بعضاً من الوقت ..

① نظرية أفلاطون عن الوهم:

في زمن الإغريق قدّم أفلاطون تجربةً تبيّن سهولة تعريض العقل للخداع، و تنص التجربة على التالي :

(لو قمنا بإبقاء مجموعة من الناس منذ ولادتهم في غرفة صغيرة مع مجموعة من الخيالات التي تنعكس أمامهم على الحائط، ولو تكلمنا مع الناس في الغرفة من وراء الحائط فسيعتقدون أن هذه الأصوات قادمة من الأشياء التي يرونها أمامهم (الخيالات) ..

وبإمكانهم أيضاً أن يجزموا متأكدين من ذلك، فهم لا يعرفون شيئاً

آخر في العالم غيرهم هم والخيالات التي يرونها معهم، فحدود العالم بالنسبة لهم هي هذه الغرفة الصغيرة، ولا بدّ أن تلك الأصوات آتية مما يرونه أمامهم.. بهذه الطريقة نكون قد خدعنا عقولهم بكذبة صدقوها وآمنوا بها ولم يشككوا بها قطّ ! ولكن ماذا لو كشفنا عنهم الحجاب وأخرجناهم من غرفتهم تلك إلى العالم الأكبر؟)

و العبرة من هذه التجربة أنّ كثيراً من المعتقدات التي كوّناها في حياتنا ضمن عالم المعرفة المحدود بين أيدينا مجرد وهم باطل ، فلو كُشف لنا الحجاب عن عالم أكبر من المعرفة، كما كُشف في تجربة أفلاطون، لن نبقى جازمين أن صفة اليقظة التي نطلقها على يومياتنا هي تامة ومطلقة ؟ فماذا لو كانت يقظتنا هذه مجرّد حلمٍ لواقع آخر؟

② نبذة عن الواقع الافتراضي (ميتافيرس) :

انطلاقاً من فكرتنا الأولى لنتحدث قليلاً عن الواقع الافتراضي الذي هو ببساطة واقع وهمي يعيشه دماغ الإنسان في حالة محاكاة لواقع آخر ، كما يحدث بالضبط عند ارتداء نظارات الواقع الافتراضي فتعيش في دنيا تقسم أنها حقيقية لكنها في الحقيقة غير موجودة سوى في خيالك ، و ما إن تنزع النظارات حتى تعود إلى الواقع الحقيقي ، لكنك بالطبع تحتفظ بكافة الذكريات التي عشتها في تلك التجربة الفريدة .. و هذا هو مربط الفرس في موضوعنا ..

أما تاريخ العيش في واقع افتراضي فيعود إلى عام **1935**، عندما قدم كاتب الخيال العلمي الأمريكي، **ستانلي وينباوم** نموذجاً خيالياً للواقع الافتراضي في قصة قصيرة بعنوان: (**نظارات بجماليون**) و خلال أحداث هذه القصة، التقت الشخصية الرئيسية بأستاذ جامعة اخترع زوجاً من النظارات، يمكن من خلالها الانغماس في التجارب الخيالية، باستخدام حاستي الشم واللمس..

ثم تطورت تقنيات الواقع الافتراضي عبر السنوات اللاحقة حتى عام **2010** عندما قدمت جوجل وضعاً ثلاثي الأبعاد مجسماً لخدمة التجول الافتراضي ، وفي نفس العام، ابتكر الأمريكي **بالمر لوكي** ، وهو رجل أعمال يبلغ من العمر **18** عاماً، أول نموذج أولي لنظارات رأس تقدم خدمة الواقع الافتراضي ، و قد تميز هذا النموذج بمجال رؤية **90** درجة لم يسبق له مثيل من قبل، ويعتمد على قوة معالجة الكمبيوتر للصور.. ساهم هذا التطور في تعزيز الاهتمام بالواقع الافتراضي أكثر بعد ذلك ..

③ مصطلح نومينون & فينومينين :

نومينون هو مصطلح يشير إلى كل شيء غير مدرك بالعقل و غالباً يشار بها إلى كل شيء غير مرئي بالتحديد ، كالروح طبعاً و الجن و الأشباح و غيرها من الماورائيات ..

أما **الفينومينين** فمصطلح معاكس يشير إلى كل شيء محسوس بالعقل .. و سنعود إلى هذين المصطلحين بعد قليل ..

④ نظرية الدماغ في وعاء :

نظرية غريبة للغاية تقول ببساطة : لو أن دماغك فصل عن جسدك و وضع في محلول مغذي ، ثم وصل مع كمبيوتر فائق التطور يقوم بتنشيط باحات دماغك بنبضات خاصة مدروسة كي يمنحك أحاسيس مزيفة لكنك تشعر بها كواقعية ، فترى أشياءً و تسمع أصواتاً و تلمس أشياءً أخرى ، كما تشم روائح و تشعر بمذاقات

مختلفة و هكذا .. فهل دماغك حينئذ سيفهم هذه الأمور كأوامر من الحاسوب أم أنه سيؤمن بأن هذا الواقع الذي يعيشه حقيقة فعلياً ؟! هذه مفارقة علمية عجيبة للغاية تستحق التفكير مطولاً !!

تعود نظرية الدماغ في وعاء باسمها إلى الفيلسوف الأمريكي **هيلاري بوتنام** في كتابه (السبب و الحقيقة و التاريخ) الصادر عام **1981** ، لكن جذور الفكرة تعود لأقدم من ذلك، ففي القرن **17** استحضر الفيلسوف الفرنسي **رينيه ديكارت** فكرة **الجني السيء** الذي يحاول خداعه و ايهامه بأنّ كل ما يجري حوله في العالم الخارجي هو حقيقة واقعية .. و كان يهدف ديكارت من هذه الفكرة إلى إعادة بناء المعرفة البشرية على أسس ثابتة متبنياً في ذلك (**مبدأ الشك**) ، فبعدما أشار إلى انعدام موثوقية حواسنا و الارتباك الناتج عن الأحلام ، قام بنبذ كل المعارف والمسلّمات حتى تلك التي حملت نسبة ضئيلة من الشك ، بل إنّ ديكارت دفع بمبدأ الشك إلى الحد الأقصى ، فنجده يقول في كتابه (**تأملات في الفلسفة الأولى**) :

(سأفترض إذن .... أنّ جنياً سيئاً، قد استعمل كل ما أوتي من حنكة لتضليلي. وسأفترض أن السماء، والهواء، والأرض، والألوان، والأشكال، والأصوات، وسائر الأشياء الخارجية التي

نراها، ليست إلاّ أوهاماً وخيالات، يلجأ إليها الشيطان كي يقنعني بواقعيتها)

و رغم أن هذه الفرضية بظاهرها باطلة بشكل بديهي ،لكنها صحيحة للغاية في باطنها كما سنرى بعد قليل .. و لقد تطرق **فلم ماتريكس** الشهير لهذه الفكرة بدوره ، حين يكتشف أحد قراصنة الحاسوب و هو (**نيو**) أنّ العالم عام **1999** ليس إلاّ محاكاة افتراضية للواقع صُمّمت بواسطة جهاز استخبارات إلكترونية ، و أنه وبقية الناس تم وضعهم في قوالب مليئة بالسوائل المغذية متصلين سلكياً بجهاز حاسوب يملي حيواتهم على عقولهم ..

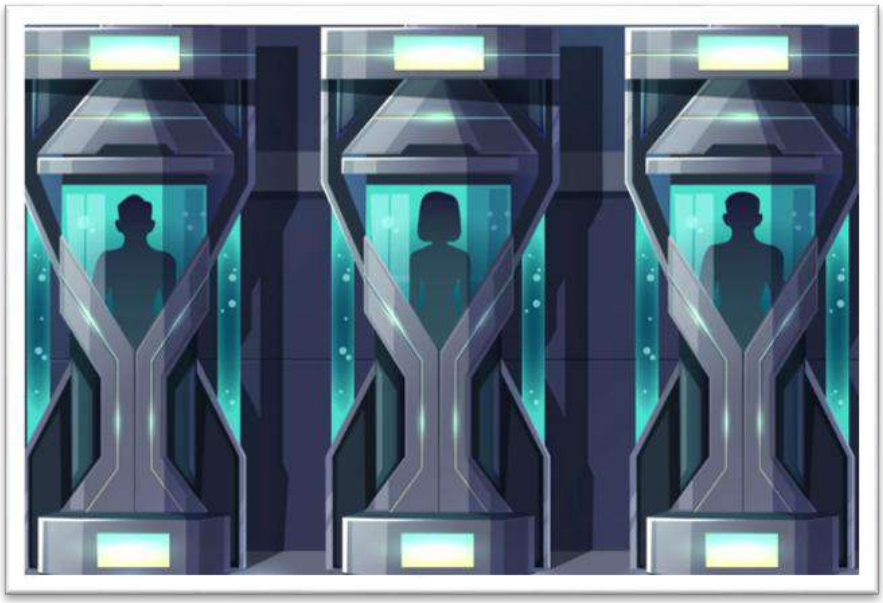

و هذا أيضا يتقاطع مع جوهر فكرة فلم أفاتار الذي تطرقنا إليه في مطلع الفصل ..

و قبل مدة ليست بالبعيدة اقترح الفيلسوف السويدي **نـك بوستروم** أن هناك احتمالاً كبيراً أننا نعيش في هذا الكون ضمن برنامج محاكاة على أرض الواقع فعلياً ، و هذا له ما يبرره بقوة كما سنرى بعد قليل **!!**

فهل كل هذه النظريات (**الدماغ في وعاء ، الجني الشرير ، الماتريكس و الأفاتار**) هي مجرد تخيلات علمية لا غير ، أم أنها تعبير حقيقي لوصف الكون الذي نعيش فيه **؟!** و إن كانت كذلك كيف يحدث ذلك ؟ هذا يقودنا إلى المحور التالي الأهم في الفصل

⑤ نظرية الروح هي حلم :

نستهل هذه النقطة بسؤال بسيط لكن هام للغاية :

(نعيش على هذه الأرض ضمن أجساد مادية تختزن في أدمغتها ذكرياتنا كلها من الأحداث التي عشناها و نعيشها ، لكن ما مصير هذه الذكريات بعد أن نموت و تتحلل أدمغتنا إلى تراب **؟!** هل تذهب إلى العدم كأنها لم تكن بحكم أن الأفكار ليست مادية لتبقى **؟!**)

في الحقيقية وفق تصوري الشخصي للروح و العالم الآخر ، الجواب على هذا السؤال يكمن في العالم الآخر ، فهناك أجسادنا السماوية - أياً كانت بنيتها - هي متصلة لاسلكياً بأدمغة أجسادنا الأرضية بتقنية ما و على الأرجح بنفس تقنية الواقع الافتراضي ، و في اللحظة التي نولد فيها على الأرض أي يكتمل فيها تكويننا الأرضي { **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي** } تبدأ أجسادنا في السماء { **النشأة الآخرة** } بالحلم حيث تشاهد تفاصيل حياتنا الأرضية ثانية بثانية و تسجلها ، و متى ما انتهت حياتنا على الأرض سنستيقظ من ذلك الحلم و أجسادنا السماوية تحتفظ بتلك

التفاصيل كلها ، تماماً كما لو كانت أجسادنا السماوية ترتدي نظارات الواقع الافتراضي خلال حياتنا الدنيوية ثم نزعتها لحظة موتنا، بمعنى أن الروح (**نومينون**) كمادة لاوجود لها صديقي القارئ تماماً كالأفكار و الأحلام و غير محسوسة بالعقل حرفياً ، و ليست سوى الذكريات و التفاصيل التي نراها في ذلك الحلم ، و ما **الاتصال** بين الجسدين السماوي و الأرضي عند أول نفس لك في الحياة سوى **نفخ الروح** في الأجساد ، و ما الاستيقاظ من الحلم سوى **خروج للروح** من الجسد **بانقطاع الاتصال** ..

و يمثل الكون الأصغر الذي نعيش فيه عالماً افتراضياً (**ميتافيرس للروح**) مبرمجاً كي تعيش فيه أجسادنا الأرضية الوهمية التي

ستذهب إلى العدم بعد موتنا ، لتتابع أجسادنا السماوية مسيرة حياتنا في دار البقاء الآخرة بذكريات أجسادنا الأرضية كلها ..

أما نظرية الروح كمادة غير مرئية مبهمة توجد داخل الأجساد البشرية تخرج منها عند الموت لتصعد إلى السماء فهي تشبيه مبسط للبشر في أزمنة غابرة يتماشى مع معرفتهم وقتها و قدرتهم على الفهم و الاستيعاب .. فهل كان بإمكان البشر في ذلك الوقت أن يستوعبوا مفهوم الواقع الافتراضي أو الدماغ في وعاء مثلاً بحكم تأخر التكنولوجيا و غياب أجهزتها لديهم؟! بالطبع لا.. فمثلاً السماء في القرآن بناها الله بأيديه ، و الجنة فيها مغريات مادية شبيهة بالدنيا كالطعام و الشراب و حتى الجنس، و غير ذلك من تشبيهات مستوحاة من حياة البشر لتقريب الصورة إلى أذهانهم ، لكن مع تقدم العلوم نبدأ نفهم كل شيء بصورة جديدة علمية منطقية .. أي ببساطة يزول وهم أفلاطون الذي تحدثنا عنه منذ قليل ..

يقال أننا عندما نحلم في نومنا في هذه الدنيا أنّ الروح هي التي تحلم ، و في الحقيقة هذه الأحلام هي الروح نفسها حرفياً ، لأن هذه الأحلام ببساطة هي نقطة اتصال حقيقي صرف بين الجسد السماوي و الجسد الأرضي (**زوج من الفينومينين**) بدون عائق مادي مشتت بينهما ، بمعنى أنهما يتحدان في كيان واحد حالم خلال الأحلام (**الروح أو النومينون**) التي هي صلة الوصل بين الجسدين (الجسدان يحلمان في آنٍ معاً)..

و من وحي توجهي الطبي في الحياة يمكن تشبيه الحياة الدنيا بتجربة **اضطراب سلوك نوم الريم** التي يقوم خلالها النائم بتمثيل أحلامه، و هذا تشبيه مثالي فأجسادنا الأرضية تقوم ببساطة بتمثيل أحلام أجسادنا السماوية .. و هناك في الطب مفهوم آخر أيضاً يدعى **بالحلم الواعي (لوسيد دريم)** ، هو حلم يدرك فيه النائم أثناء نومه أنه يحلم، وقد يبدأ بالتدخل في حلمه والتأثير فيه تماماً كأحداث فلم **inception** الشهير ..

في هذا النوع من الحلم يكون النائم واعياً بمشاعره وأحاسيسه، وفي الوقت ذاته يكون واعياً أنه يحلم.. و في دراسة نشرت عام **2016**، فإن **55%** من البشر عايشوا الحلم الواعي لمرة واحدة على الأقل في حياتهم. بينما يختبر **23%** من البشر الحلم الواعي مرة على الأقل في الشهر.. يحدث مثلاً أن ترى في الحلم أنك في غابة ثم تجد نفسك فجأة تطعم الديناصورات بيدك ، عندها وأثناء نومك، تدرك أنك تحلم، وقد تتابع في حلمك أو تستيقظ، و هذا هو بالضبط ما أحاول إيصاله لك صديقي القارئ أن تفهم أن حياتك كلها مجرد

حلم يراود جسدك السماوي و أنت قادر على التلاعب بهذا الحلم ..

و في الحقيقة هنالك ما هو أكثر من ذلك، من سيحشر يوم القيامة ليست أجسادنا الأرضية التي تحللت بموتنا بل أجسادنا السماوية التي تحمل إرثنا الأرضي كاملاً مع مؤهلات أكبر من ذلك بكثير، و ما قيام الساعة سوى رنة منبه الساعة (**نفخ الصور**) التي ستستيقظ معها جميع الأجساد السماوية معاً في لحظة واحدة .. و هذا هو بالضبط التفسير المنطقي لتسمية يوم القيامة بالساعة !!

كذلك الأمر في حالات تناسخ الأرواح يتم وصل جسد سماوي واحد بعدة أجساد أرضية فيحمل ذكرياتها كلها.

و الحقيقة الأغرب و الأهم في الموضوع كله هي أنّ الجنة (**الكون الأكبر**) بحد ذاتها قائمة على مبدأ العالم الافتراضي أو الدماغ في الوعاء ، حيث أنك ببساطة قادر على الانتقال إلى أي عالم تشاء و العيش فيه **و أنت في مكانك** .. و الأهم أنك ستعيشه كحقيقة لا تقبل الشك بسبب دقة التفاصيل كما هو حال كوننا الذي نعيش فيه الآن بالضبط و الأجمل في القصة أنك **و إن تأذيت في تجاربك الافتراضية تلك ، فإن جسدك السماوي سيبقى سليماً بلا أي ضرر**

و كاختصار لكل ما سبق : أجسادنا السماوية عبارة عن (**دماغ في وعاء**) و متصل بحاسوب (يملي علينا أحلامنا و بالتالي تفاصيل حياتنا الأرضية) و نحن في هذه الدنيا (**الماتريكس**) عبارة عن أجساد أرضية (**أفاتار**) نقوم بترجمة تلك الأحلام الموجودة على ذلك الحاسوب و في أجسادنا السماوية كحقيقة مادية مجسّدة أمامنا و أمامها .. لتتكامل هذه النظريات جميعاً في نظرية واحدة مشتركة و هي نظرية (**الروح النومينون الحلم**) التي تنفخ في أجسادنا الأرضية كحلم لحظة نومنا في العالم الآخر و ولادتنا في الدنيا ، و تخرج منها لحظة استيقاظنا في العالم الآخر و موتنا في الدنيا ..

أي أنك في حياتك الدنيوية أشبه بمصباح في سقف غرفة ، عندما ينام جسدك السماوي بولادتك يتم ضغط زر التشغيل فتصلك الكهرباء لتضيء و تشع حياةً ، و عندما يستيقظ جسدك السماوي يُضغط الزر ثانيةً لتنطفئ حياتك على الأرض و تموت..

لذا احذر صديقي القارئ من أفعال **أفاتارك** في حلمك الطويل القصير ضمن (**حياتك الدنيوية الماتريكس**) ، فلا تدري في أي لحظة سيستيقظ جسدك السماوي من غفوته برنة منبه الساعة الموقوت عندما تنتهي قصة حلمك على الحاسوب الخاص بك ، فتموت على حين غرة و لا يبقى لك من حياتك على الأرض سوى عواقب أحلامك تلك ، فإما أن تكون كوابيساً أو أحلاماً سعيدة ، و القرار قرارك ..

*****

في ختام مقاربتنا للغز (**الروح**) الشائك ، السهل الممتنع ، و الشيّق ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

❁ أخشى تجربة الموت ، فخروج الروح من الجسد عملية مجهولة و يقال أنها مؤلمة ..

بل أن نقول :

❁ الحياة مجرد حلم قصير يعيشه جسدنا السماوي ، يبدأ بولادتنا (نفخ الروح/النوم) و ينتهي بوفاتنا (خروج الروح/الاستيقاظ) ، فهل سبق لك أن استيقظت من حلمك بصعوبة .. اللهم إلا إن كان كابوساً ، و ما الكابوس الحقيقي سوى سوء الأفعال في ذلك الحلم (الحياة الدنيا) .. أما من صح فكره و قوله و فعله فسيعيش أحلاماً سعيدة يستيقظ منها مرتاحاً ، راضياً و سعيداً .. أما عن ألم الموت ، فصدقني أن الموت لا يختلف أبداً عن شعورك عندما تنام أو تخضع لتجربة التخدير ، مجرد غياب للوعي خلال أجزاء من الثانية !!

الحياة الدنيا مجرد لعبة على حاسوب كوني عملاق ، لكنها ليست لعبة للترفيه البحت، بل لعبة لبناء الإنسان لا تخلو من المتعة .. لعبة برمجتها السماء بعبقرية لا يشق لها غبار .. !! أما ألعاب الترفيه البحت فستكون في جنان الله بعد أن أصبحت إنساناً حقيقياً

،حيث هنالك دنيا واسعة من العوالم الافتراضية التي لا تنتهي بانتظارك !! ..

الروح القدس

قبل أن ندخل هذا الفصل، لا بدّ من أن نُمهِّد له ببطءٍ يليق بخطورة الفكرة ورهافتها؛ بتمهيدٍ لا يزعم امتلاك الحقيقة، بل يفتح نافذة للتأمل، ويقترح مسارًا رمزيًا يتقاطع فيه النص المقدّس مع الخيال الفلسفي، واللاهوت مع الشعر، والسماء مع اللغة.

منذ أن نطق الإنسان باسم الروح، وهو يتعثّر بين ما يُقال وما لا يُقال، بين ما يُرى وما لا يُرى. فالروح، في جوهرها، ليست كائنًا يمكن الإمساك به، بل حضورًا يُستدلّ عليه بالأثر، ونورًا يُعرَف بانعكاسه، وحياةً تُدرَك بما تُحييه لا بماهيتها. وحين تتكلم النصوص المقدسة عن الروح، فإنها لا تفعل ذلك بلغة التعريف، بل بلغة الرمز: **طيف بلا أثر ، نفخة بلا فم، نور بلا جهة.**

في هذا الأفق الرمزي الواسع، تبرز الآية النورانية في القرآن الكريم كواحدة من أكثر النصوص كثافةً وغموضًا وثراءً :

(يوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيتونَةٍ لا شَرقِيَّةٍ ولا غَربِيَّة)

آية لا تصف شجرة أرضية بقدر ما تفتح بابًا على شجرةٍ كونية، شجرة لا تنتمي إلى جغرافيا، ولا تُحدّ بجهة، ولا تخضع لدورة شمس أو ظل. شجرة في مقامٍ بين المقامات، أو فوقها، أو خارجها كلها.

هنا تبدأ الفكرة التي سيحملها هذا الفصل : فكرة جريئة، تأملية، تتقدّم بحذرٍ بين الإيمان والتأويل، وترى في الزيتونة اللاشرقية واللاغربية رمزًا للروح القدس في مقامها السماوي؛ لا بوصفها تشبيهًا حرفيًا، بل بوصفها صورة كونية لحضورٍ إلهيٍّ حيّ، فعّال، مولِّد للنور، ومصدر للمعنى.

فالزيتونة، في تراث الإنسان، ليست شجرة عادية : **هي شجرة الحياة الطويلة، شجرة الزيت الذي يضيء بلا لهب، شجرة الغذاء والدواء والبركة.** لكنها في هذا التصور ليست زيتونة أرض، بل زيتونة سماء؛ **شجرة مقدسة لا تنبت في التراب، بل في الحضور الإلهي ذاته. شجرة لا تُثمر ثمرًا، بل نورًا، ولا تُعطي زيتًا، بل وعيًا، ولا تُغذّي الجسد، بل تُوقظ الروح.**

وفي هذا الأفق، تتجلى الروح القدس بوصفها الأنثى الاستثنائية في لغة الرمز الكوني؛ لا أنثى الجسد، بل أنثى الخلق : المبدأ الحاضن، المُشكِّل، المُصمِّم، المكتشف. هي التي اكتشفت الكون الأكبر لا كغريب، بل كامتداد، و صممت الكون الأصغر – و فيه الإنسان – لا كآلة، بل كصورة. هي **رحم المعنى، وحكمة التكوين، وذاكرة النور الأولى.**

ليست هذه الأنوثة توصيفًا بيولوجيًا، بل لغة كونية سريّة، تعبّر عن القدرة على الخلق دون عنف، وعن الفعل دون صخب، وعن القوة التي تُنجب بدل أن تُدمّر. فالروح، في هذا المعنى، لا تفرض النظام، بل تُلهمه، ولا تُسيّر الكون كقانون أعمى، بل تُنمّيه ككائن حي.

هذا الفصل لا يطلب من القارئ إيمانًا جاهزًا، بل يقترح رحلة : رحلة في المعنى، في الرمز، في الاحتمال. رحلة تُعيد قراءة النص لا لتكسره، بل لتُصغي إلى طبقاته العميقة، حيث يلتقي الوحي بالحدس، والدين بالفلسفة، والروح بنفسها.

فما سنقرؤه لاحقًا ليس تفسيرًا، بل مكاشفة فكرية؛ ليس عقيدة، بل سؤالًا كبيرًا يُفتح على اتساع السماء:

من هي الروح القدس ؟ كيف خُلقت في الكون الأكبر؟ و ماذا تهدف من تصميم الكون الأصغر ؟

و للإجابة عن هذه الأسئلة سنتطرق إلى زاويتين شيقتين و هامتين للغاية : **أسطورة حي بن يقظان** ، ثم **مراحل تطور الزيتونة** .

أسطورة حيّ بن يقظان :

لماذا سنتحدث عن هذه الأسطورة ؟ لأنها ذات صلة كبيرة و مشابهة بشكل عميق و غريب لتطور الزيتونة في الكون الأكبر كما سنرى بعد قليل ..

رواية تحكي قصة شخص يدعى حي بن يقظان نشأ في جزيرة وحده، و تناقش طبيعة للإنسان وعلاقته بالكون والدين، كما احتوت مضامين فلسفية، وشارك في تأليفها عدة أشخاص من الأدباء العرب والمسلمين فكان أول مؤلف لقصة حي بن يقظان هو الفيلسوف **ابن سينا**، وكتبها أثناء سجنه، ثم أعاد بناءها الشيخ **شهاب الدين السهروردي**، وبعدها أعاد كتابتها الفيلسوف الأندلسي **ابن طفيل**، ثم كانت آخر رواية للقصة من قبل **ابن النفيس** .. لكن أشهر مؤلف من بين هؤلاء الأربعة التصقت القصة باسمه هو ابن طفيل..

وقد كان لهذه الرواية أثر كبير على (جون لوك) الفيلسوف الإنجليزي الشهير، الذي كتب كتاباً يصف فيه العقل كصفحة بيضاء خالية من كل القواعد والمعوقات الموروثة و هو كتاب

مستلهم من رواية حي بن يقظان تحت عنوان **الفيلسوف الذي علم نفسه بنفسه** ، وتأثر بالترجمة أجيال من الفلاسفة..

و رواية حي بن يقظان هي الأساس لعديد من روائع الفكر والأدب العالمي مثل كتاب (**عقيدة القس من جبل السافوا**) للفيلسوف الفرنسي **جان جاك روسو**، وكذلك نجد الأحداث المشتركة واضحة بينها وبين رواية **روبنسون كروزو** للكاتب **دانييل ديفو**، وقصة **ماوكلي** فتى الأدغال وشخصية **طرزان** التي تتحدث معظمها عن سلوك الإنسان عندما يجبر على العيش في بيئة منعزلة وحده

إن ولادة حي بن يقظان تبقى لغزا ، فبعض المصادر تقول أنه ولد لأبوين بشريين ثم تركاه على جزيرة الواق واق ، و البعض الآخر تقول أنه تكون من تلقاء نفسه من التراب و هذه الرواية هي ما تعنينا في مغالطتنا .. و تكمل الروايتان بنفس الأحداث حيث سمعت ظبية كانت تبحث عن ابنها الذي فقدته صوت بكاء الطفل فاتجهت نحوه، وكان أن عثرت على حي الوليد فأرضعته وحضنته ..

يكبر حي بن يقظان وتمر حياته بسبع مراحل.. أما **الأولى** فهي **إرضاع الظبية لحي** وحضانتها ورعايتها له حتى عمر سبع سنوات.. و **الثانية** **وفاة الظبية** وتشريحها من قبل حي لمعرفة سبب الوفاة، وهنا بدأت تتكون عند حي المعرفة عن طريق الحواس والتجربة..

أما المرحلة **الثالثة** فكانت في **اكتشاف النار**..

أما **الرابعة** فكانت في **دراسته لجميع الأجسام** التي كانت موجودة حوله ، فكان بذلك يكتشف الوحدة والكثرة في الجسم والروح، واكتشف تشابه الكائنات في المادة واختلافها في الصور ..

قابل حي بن يقظان رجلاً جاء من جزيرة مجاورة يدعى **أبسال**، ليبدأ الاثنان في طرح نقاشات حول الطبيعة والأخلاق والله ، و يصدم أبسال عندما يعرف أن حي قد اكتشف كل الحقائق لوحده ، و يحاول حي بن يقظان نقل فهمه العقلاني للأشياء إلى أهل جزيرة أبسال، ولكن سعيه ينتهي بالإخفاق ، فيدرك بن يقظان أن معظم الناس تحركهم الأنانية والجشع والعواطف ولا يلقون بالاً لنداء العقل والضمير، ثم يرجع حي بن يقظان إلى جزيرته برفقة أبسال الذي أصبح تلميذا له..

المرحلة **الخامسة** كانت في **اكتشاف الفضاء** وهذا شجعه إلى الخروج من رصد الكون فحسب إلى معرفة أنه قديم للغاية و كذلك فهم آلية نشوئه .. وعند بلوغه الخامسة والثلاثين من عمره، بدأ حيّ مرحلته **السادسة** وهي **الاستنتاج بعد التفكير**، فتوصل إلى أن النفس منفصلة عن الجسد و غيرها من الخلاصات و أنه يعيش حالة توق إلى الموجِد واجب الوجود.. وأخيرا، يصر حي بن يقظان، في المرحلة **السابعة** على أن **سعادته** تكون في **ديمومة**

المشاهدة لهذا الموجِد الواجب الوجود ورغبته في البقاء داخل حياة رسمها الموجد له ، و هي بالضبط الخلاصة التي توصلت إليها زيتونة السماء و صممت الكون الأصغر على أساسها كما سنرى بعد قليل ..

مراحل تطور الزيتونة :

يمكن تقسيم حياة الروح القدس (الزيتونة) في الكون الأكبر إلى **4** مراحل رئيسية تتشابه مع أسطورة حي بن يقظان تماماً :

① مرحلة التطور ما قبل الوعي :

و تقسم هذه المرحلة إلى شقين :

❁ **مرحلة الجماد** : و هي المرحلة المكافئة للانفجار العظيم في كوننا الأصغر و مشابهة له بالأحداث حيث تشكلت المادة عبر التسلسل المعروف :

(جزئيات دون ذرية ثم ذرات ثم جزئيات ثم مواد متنوعة شكلت النجوم و الكواكب و الأقمار و الكويكبات ..)

❁ **مرحلة نشوء الحياة** : عبر عملية تطورية ، و في الحقيقة نشوء أول شكل من أشكال الحياة (الخلية) التي تقوم بعملية تنفس في الكون الأكبر تم بسبب وجود بيئة كيميائية مناسبة حاضنة محيطة بها تفاعلت معها فحرضتها على القيام بعملية التنفس تلك ..

و هذا بالضبط هو جوهر عملية تكون **البيضة** و الجنين بداخلها ، فالبيضة عبارة عن مواد كيميائية مغذية و حافظة تحيط بالكائن الحي و تتفاعل معه كي ينمو و يتطور حتى يكتمل و يستقل بنفسه عن البيضة .. و هذا ما ينطبق أيضاً على مفهوم **الرحم** الأشمل الذي يحيط بالحياة ، بمعنى أنّ الجماد أو المادة أتت أولاً ثم كونت بيئة مناسبة لتطور الخلية الحية لاحقاً ، و هذه الخلية هي البيضة الملقحة بالنسبة للزيتونة التي تطورت و انقسمت عبر عملية تطورية مزمنة للغاية و بدأت أنواع معينة من هذه الخلايا بالتمايز و التخصص كتفاعل مع البيئة من حولها .. **و يلعب الماء دور البطولة في هذه الثورة** بانتقال المادة من جزيئات غير حية إلى خلية حية تتنفس .. و هذه الأحداث كلها جرت في التراب المتشكل على أحد الكواكب ، لذا يقال أن آدم خلق من تراب تماماً كحال حي بن يقظان ، فما ذلك سوى تشبيه لطريقة تكون الزيتونة بنفسها و التي صممت البشر على شاكلتها .. هذه الخلية التي ظهرت أخذت بالانقسام لاحقاً و التطور تدريجياً إلى أن شكلت عبر عملية مزمنة للغاية شبه كائن لكن غير واعٍ .. تحركه الغريزة و يتطور بشكل مستمر ..

② مرحلة ما بعد الوعي :

بعد أول حادثة ثورية في حياة الزيتونة و هي تنفس المادة و ولادة الخلية ، تأتي الحادثة الثورية الثانية و هي ولادة الوعي لدى شكلها الأخير عبر تطور الدماغ إلى مستوى متقدم ، و مع ظهور الوعي ظهر بالتزامن معه :

- الزمن ..
- المشاعر بأنواعها ..
- الأنا ..

❁ منعكس اكتشاف الذات و المحيط ..

و هذه المرحلة لا يمكن وصف الألم و الإحباط و الإرادة الفولاذية فيها .. فهي عبارة عن انتقال من إخفاق إلى إخفاق بدون يأس .. و النور في نهاية النفق الذي كان يلهم الزيتونة على المتابعة هو متعة العلم و الاكتشاف كما حدث مع صديقنا حي بن يقظان بالضبط ، فمع كل اكتشاف جديد كان يطرأ تحسن و تطور على حياة الزيتونة مما يمنحها أملاً جديداً .. و هذه التجارب كلها نجدها في تجارب البشر من حولنا اليوم كأمثلة مبسطة ، و لن أطيل الوصف و الكلام عن هذه المرحلة احتراماً للزيتونة لأن ما من كلام يمكنه الإحاطة بما مرت به و عانته خلال هذه المرحلة .. **لذا فبطل هذه المرحلة هو الإرادة التي لا تقهر ..**

③ مرحلة ترويض الكون :

مع تتالي الاكتشافات أصبحت الزيتونة ذات سيطرة أكبر على جسدها و على المحيط من حولها فتحولت من دور الدفاع إلى دور الهجوم .. و بدأت كقائدة فذة تبسط سيطرتها على رقعة الكون بالتدرج حتى توجت ملايين السنين من التطور المزمن باكتشاف

كل غياهب الكون و ترويضه لخدمتها ، و هذه المرحلة سيفهمها فقط البشر الذين ستسنح لهم الفرصة في العيش في آخر سنوات الحياة على كوكب الأرض عندما يبلغ تطور البشرية مستويات مذهلة .. و يمكن تجسيد هذه المرحلة بأن الزيتونة عبارة عن فارسة و الكون هو حصانها الجامح البري الذي عانت كثيراً حتى روضته بالنهاية و أحالت الكون الباهت إلى جنان ملونة .. **و بطل هذه المرحلة هو العلم و المعرفة التي تخرج المخلوقات من الظلمات إلى النور ..**

④ مرحلة البحث عن عائلة :

في حياة البشر و بعد أن يبلغ الذكر أو الأنثى عمراً محدداً و يفرغون من اكتشاف أنفسهم و اكتشاف الحياة من حولهم يبدأ تفكيرهم بالاتجاه إلى تكوين عائلة تمنحهم **السعادة و الاستقرار و الأمان** و تجعل للحياة معنى .. و هذه الغريزة هي ذاتها التي دفعت بالزيتونة إلى التفكير بتكوين عائلة بعد أن فرغت من تكوين ذاتها ، و الأهم بالنسبة لها تصميم إنسان يختزل في تكوينه و شخصيته الكون الأكبر الذي احتضنها و ترعرعت فيه ليكون هذا الشخص بمثابة عائلة كاملة لها ، أب و أم وأخ و ابن بل و صديق مقرب

قضت ملايين السنين تتخيله في فضاء الكون و تناجيه و تفشي له بأسرارها و هي على ثقة تامة أنه موجود في مكان ما من الكون الأكبر ، إنه ببساطة الإله الذي عبدته في حياتها و خالقها الذي تدين له بوجودها .. و لأن الزيتونة اكتشفت بعد ترويض الكون أن لا وجود لهذا الإله فإنها فهمت أن الكون الأكبر بنفسه هو ذاك الإله الأزلي بلا بداية و الأبدي بلا نهاية .. لذا أرادت تجسيده بشخص وضعت فيه صفات الكون كلها ليكون رمزاً لخالقها الذي تؤمن به .. و من هذا الشخص أرادت أيضاً أن تنجب عائلة كاملة من مليارات البشر ، لأن الجنة بلا ناس لا معنى لها من الأساس .. فبعد العيش في جنتها لملايين السنين الأخرى استنفذت مصادر سعادتها بالتكرار و التعود بغياب الآخر في حياتها الذي يولّد التجديد و الاستمرارية بالمتعة و السعادة ، لذا حسمت أمرها في النهاية و صممت الكون الأصغر كمدرسة تعلم فيها أبناءها البشر أسرار الحياة و دروسها كي تليق بهم جنانها بعد الموت و يعيشوا جميعاً ببهجة و أمان إلى الأبد .. و **بطل هذه المرحلة هو غريزة الأمومة** ..

هذه باختصار شديد هي قصة حياة الزيتونة منذ بدأت كخلية حتى انتهت كحسناء تقود الكون الأكبر و أم عظيمة تنتظر أبناءها بفارغ الصبر و من بينهم شخص واحد تدين له بكل شيء و تعتبره الكون الأكبر الذي ترعرعت فيه و اكتشفت نفسها كما اكتشفت أسراره و خفاياه أيضاً ، البيضة التي فقست أو الشرنقة التي تفتحت و خرجت منهما إلى الحياة ، **الموجد الواجب الوجود** الذي وصل إليه حي بن يقظان بالنهاية ..

*****

في ختام مقاربتنا لفكرة (**الزيتونة** – **الروح القدس**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

❁ الزيتونة ظالمة للغاية ، لماذا تعذبنا و تبتلينا و تضع العراقيل في طريقنا ، من يفعل ذلك بأبنائه ؟!..

بل أن نقول :

❁ كل ما تعانيه في حياتك من ألم هو عبارة عن دبوس وخز إصبع الزيتونة في حياتها ، فما عانته لا يوصف بكلام كي نعبر عنه بالأساس ، و هي اختارت لك أقصر الطرق التي تصنع منك نسخة شبيهة بها .. نسخة تستحق جنانها العظيمة و قابلة لاستقبال بهجتها و نعمها ..

هنالك مقطع شعري للشاعر السوري الكبير **نزار قباني** يقول :

(قد تغدو امرأة يا ولدي يهواها القلب هي الدنيا)

و بالفعل ، قد يعشق الإنسان امرأةً بحجم الدنيا، سيدةً متمرسةً، متمردةً، عظيمةً، ملكةً **كزنوبيا** في تدمر، وقائدةً **كديهيا** عند

الأمازيغ... حسناء **كنفرتيتي** في مصر، عذبة الصوت **كفيروز** لبنان، مليئةً بالحب **كفينوس** أثينا وبالحنان **كالأم تيريزا**، نقيةً نقاء الثلج **كمريم العذراء**، كعطر مزيج من جميع عطور العالم ..

هذه الأنثى باختصار هي الزيتونة صديقي القارئ ..

أما عن ملامح الزيتونة ، فالله وحده يقرر ذلك ، فهو من **يصوركم في الأرحام كيف يشاء** .. هي نشأت في رحمه و هو يجبلها وفق قراره و رؤيته .

رموز روحية

منذ فجر التاريخ، لم يعرف الإنسان سراً أشد غموضاً من سرّ الروح. الجسد كان أمامه دائماً، يراه، يلمسه، يشرّحه ويفهم قوانينه. أما الروح فكانت هاربة، تتوارى عن العين كطيفٍ لا يُمس، وتطل عليه فقط حين يتنفس في صدره أو يتركه إلى حيث لا عودة. لهذا، شغلت الروح عقول البشر في كل حضارة، وصارت هي اللغز الأعظم الذي التفّت حوله الأساطير، وتجلّت فيه الأديان، وتناقلته الألسنة في الحكايات الشعبية.

في التراث الشعبي، لم تكن الروح مجرد مفهوم فلسفي، بل كانت حقيقة يومية يعيشها الناس. كم من أمٍّ أوروبية كانت تحكي لأطفالها أن الأرواح تطير كالعصافير الصغيرة بعد النوم، ثم تعود مع أول خيط من الصباح. وكم من فلاح عربي كان يعتقد أن الروح مثل نسمة خفيفة، تخرج من الجسد عند الغفلة لتسافر في الأحلام، ثم تعود عند اليقظة. في إفريقيا كان الناس يتحدثون عن الأرواح ككائنات تسكن الأشجار والأنهار، تحفظ التوازن بين البشر و الطبيعة، فإذا أُهينت تلك الأرواح، غضبت الطبيعة وأرسلت جفافاً أو فيضاناً. هكذا كانت الروح جزءاً من الحياة اليومية، يفسرون بها ما لا يفسرونه بالعقل.

أما في الحضارات القديمة، فقد ارتفعت الروح إلى مصافّ الكلمة المقدسة. عند **المصريين القدماء**، كانت الروح تتجزأ إلى عناصر عدّة : كا ، با و آخ .. **كا** هي جوهر الحياة، تظل ملازمة للجسد حتى بعد الموت، و **با** هي الحرية الطائرة التي تشبه طائر أبو منجل، قادرة على مغادرة القبر والتحليق. كانوا يعتقدون أن الروح لا تستقر إلا إذا كان الجسد محنطاً ومحفوظاً بعناية، لذلك شيّدوا الأهرامات كبيوت أبدية للروح قبل أن تكون للأجساد. و **آخ** هو اتحاد الروح مع الآلهة في العالم الآخر ..

و كانت الرموز الروحية عندهم كثيرة ومعقدة. **عنخ**، الصليب ذو الحلقة في الأعلى، لم يكن مجرد علامة، بل مفتاح الحياة والخلود، رمز الروح التي لا تموت، التي تنتقل من جسد إلى جسد، من عالم إلى عالم. و **رمز الصقر، أو الإله حورس**، كان يمثل عين الروح، عينها التي ترى الحقيقة وراء الأفق، التي تحرس الإنسان وتحمي جوهره من الظلام.. و **الجعران** يرمز الى التجدد و البعث ..

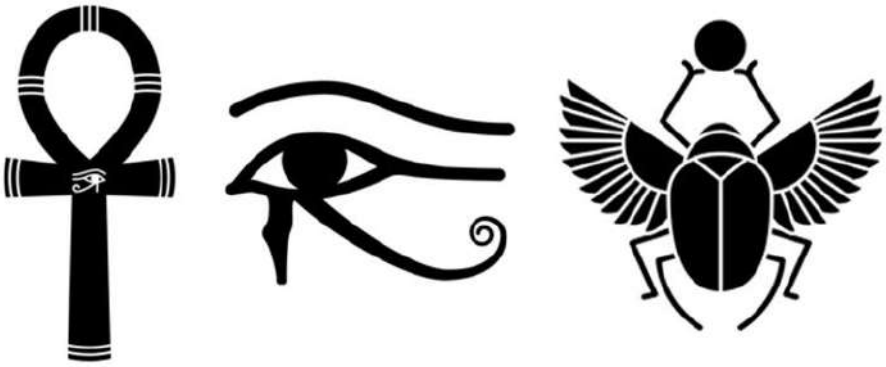

وفي **الحضارة الإغريقية**، كانت الروح تسمى **"بسيخي"**، ومنها جاء معنى **"النفس"**. صوروها في أساطيرهم كفتاة رقيقة ذات أجنحة، قادرة على الهروب من قيود الجسد. هوميروس في الإلياذة كتب أن الروح تترك الجسد مع آخر نفسٍ يخرجه الإنسان. لكن الفلاسفة، من أفلاطون إلى أرسطو، أعطوا الروح أبعاداً أبعد من الأساطير: أفلاطون قال إنها خالدة أزلية، تنتمي إلى عالم المثل قبل أن تسجن في الجسد، أما أرسطو فاعتبرها مبدأ الحياة، هي التي

تجعل المادة جسداً حيّاً لا مجرد طينٍ خامد. و رمزوا للروح برموز عديدة كالفراشة أو الشعلة ..

في **بلاد الرافدين** (**سومر** ، **بابل** ، **آشور**) ، اعتقدوا أن الروح تترك الجسد عند الموت وتذهب إلى أرض اللاعودة (إرشيكيغال / العالم السفلي). الروح لم تكن بالضرورة خالدة أو سعيدة، بل حياة الموتى غالبًا كانت تُصوّر مخيفة وكئيبة.، و قد تعود الأرواح الميتة إذا لم تُدفن بطريقة صحيحة أو لم تُقدم لها القرابين.

و هؤلاء رمزوا للروح بشجرة الحياة أو النجمة الثمانية ..

في الصين القديمة ، في الفكر الطاوي والكونفوشي : الإنسان له روحان أساسيتان : **هون** و هي الروح العلوية، ترتبط بالسماء وتبقى بعد الموت. و **بو** و هي الروح السفلية، ترتبط بالجسد والأرض وتذبل بعد الموت. و رمزوا للروح بدائرة اليين و اليانغ أو بالتنين ..

في **الحضارات الأمريكية القديمة** ، اعتقدت المايا أن الروح يمكن أن تسكن حيوانًا أو أن تكون لها صلة بروح حارسة (ناغوال). أما الأزتك رأوا أن الروح تتكون من عدة قوى (مثل تُوليّو في القلب وتُويوليا في الدماغ)، وتحدد أعمال الإنسان مصيرها في العالم الآخر.. و رمزوا للروح بطائر الكوندورالذهبي أو القناع الذهبي الذي يرتدونه في الطقوس ..

و في **الهند القديمة**، حيث برزت الفلسفات الدينية الكبرى، كانت الروح ـ **آتمن** ـ جزءاً من المحيط الكوني الأعظم. عند **الهندوس**، الروح أزلية لا تفنى، تدخل في جسد ثم تغادره لتعود في جسد آخر في دورة لا تنتهي تُسمى سامسارا . هذه الدورة لا تنكسر إلا إذا عرفت الروح حقيقتها واتحدت مع برهمان ، الجوهر الكوني. أما **البوذية**، فقد نظرت للروح نظرة مختلفة، إذ أنكرت وجود جوهر ثابت، ورأت أن ما نسميه "الروح" هو مجرد تدفق متغير من المشاعر والأفكار والطاقات، وكل تعلقٍ بها هو سبب للمعاناة.. و التحرر منها هو النيرفانا ، و رمزوا للروح بالأوم ، زهرة اللوتس

و الماندالا ..

وعند **الفرس الزرادشتيين**، كانت الروح ميدان صراع بين النور والظلمة. الإنسان وُهب روحاً نورانية من أهورامزدا ، لكنها مهددة دائماً بوسوسة قوى الشر. ومن ينجح في الحفاظ على روحه نقية يعبر جسر شِنْفَت بعد الموت إلى الجنة، ومن يسقط يغرق في جهنم.. و كان رمز الروح لديهم هو النار ..

كل حضارة إذاً وضعت مرآتها الخاصة أمام الروح، لكن شيئاً واحداً لم يتغير : **الشعور العميق أن هناك في داخلنا جوهراً لا يخضع للزمن.** قد يشيخ الجسد، قد يمرض، قد يُشل ، لكن الروح تبقى، ترفض الانكسار، تبحث عن حرية أوسع. لذلك، كان الناس عبر العصور يحكون عن الأرواح كطيور لا تقبل الأقفاص، كشرارات تشتعل في العتمة، كأغانٍ تسمعها القلوب قبل الآذان.

إن التراث الشعبي، والأساطير، والأديان، على اختلافها، لم تكن إلا محاولات إنسانية لفهم هذا الغائب الحاضر. الروح هي الغربة التي نحملها ونحن على الأرض، والحنين الذي لا يفسَّر، والشوق الدائم إلى ما وراء المرئي. وربما، في النهاية، لا يهم كيف نصفها نحن : نسمة، طائر، نور، جوهر... المهم أنها الشيء الوحيد الذي يجعلنا بشراً، الشيء الذي يجعلنا ننظر إلى السماء ونسأل :

من نحن؟ وأين موطننا الحقيقي ؟

الإسقاط النجمي و

الموت الوشيك

منذ أن رفع الإنسان أول نظره إلى السماء، ومنذ أن جلس في كهوفه يراقب نيران الليل المتراقصة، أدرك أن هناك شيئًا يتجاوز جسده، شيئًا خفيًا ينبض داخله بلا رؤية. لقد شعر بالروح وهي تبحث عن أفقها، وهي تتسائل عن طبيعة الحياة والموت، وعن سرّ الكون الذي يبدو بلا نهاية.

هذا الشعور العميق بالحيرة والدهشة هو ما أدى بالبشر إلى تصوير مفهومي **الإسقاط النجمي والموت الوشيك**، فكلاهما يفتح نافذة على المجهول : أحدهما رحلة الروح خارج الجسد، والآخر رحلة الإنسان نحو النهاية المحتومة، حيث يذوب الجسد ويحل السلام أو الغموض.

في هذه الفصل، نقترب من سؤال قديم : **هل الروح كيان مستقل يستطيع التنقل بحرية ؟ وهل الموت لحظة النهاية أم بداية رحلة أخرى ؟** منذ أفلاطون ، مروراً بالرهبان التبتيين، و وصولاً إلى تجارب حديثة لأشخاص اقتربوا من الموت، ظل الإنسان يسعى لفهم هذه اللحظات التي تتجاوز حدود الحس المادي.

الإسقاط النجمي : الرحيل دون جسد

الإسقاط النجمي هو تجربة يصفها من **مارس التأمل الشديد أو خلال لحظات النوم العميق** ، حيث يشعر الإنسان أن **روحه تترك جسده، وتتحرك بحرية عبر الزمان والمكان**. في هذه اللحظات، تصبح الحواس الجسدية مجرد مرآة بلا حدود، فيشاهد الإنسان العالم من زاوية جديدة، كأنه يتسلق السماء أو يمر عبر عوالم لم ترَها عين البشر.

الفلاسفة اليونانيون القدماء، مثل أفلاطون، تحدثوا عن النفس التي تنفصل عن الجسد لتسافر في العالم الروحي قبل أن تعود، معتبرين هذه الرحلة وسيلة لفهم جوهر الوجود. أما في **مصر القديمة**، فقد صوروا روح الإنسان بـ"**كاي**"، التي يمكنها مغادرة الجسد والسفر

عبر النيل والسماء بحثاً عن الحياة الأبدية.

من منظور العلوم الطبية العصبية الحديثة، تحدث هذه الظاهرة خلال حالات النوم العميق، أو النوم المترنح بين اليقظة والحلم، أو أثناء التأمل الشديد. **حيث ينتج الدماغ موجات كهربائية غير معتادة، وتظهر مناطق في الفصوص الأمامية والخلفية مسؤولة عن إدراك المكان والهوية، فينتج شعور بالخروج من الجسد، أو التحليق، أو رؤية عوالم أخرى .**

أمثلة تاريخية وتجارب شخصية :

الرهبان التيبتيون : يمارسون **التأمل العميق** لإحداث "خروج الروح" قبل الموت، ما يعتبر تدريبًا للوعي على الرحيل بدون خوف.

روايات حديثة : مرضى كثر أثناء الغيبوبة ادعوا أنهم يسبحون فوق أجسادهم ، و يرون غرف المستشفى بدقة، و تحدّثوا عن شعور غريب بالسلام.

الأساطير : أساطير أمريكا الجنوبية تتحدث عن الأرواح الرحالة التي تزور عوالم الأرواح لتجلب الحكمة والمعرفة للبشر ثم تعود إلى أصحابها.

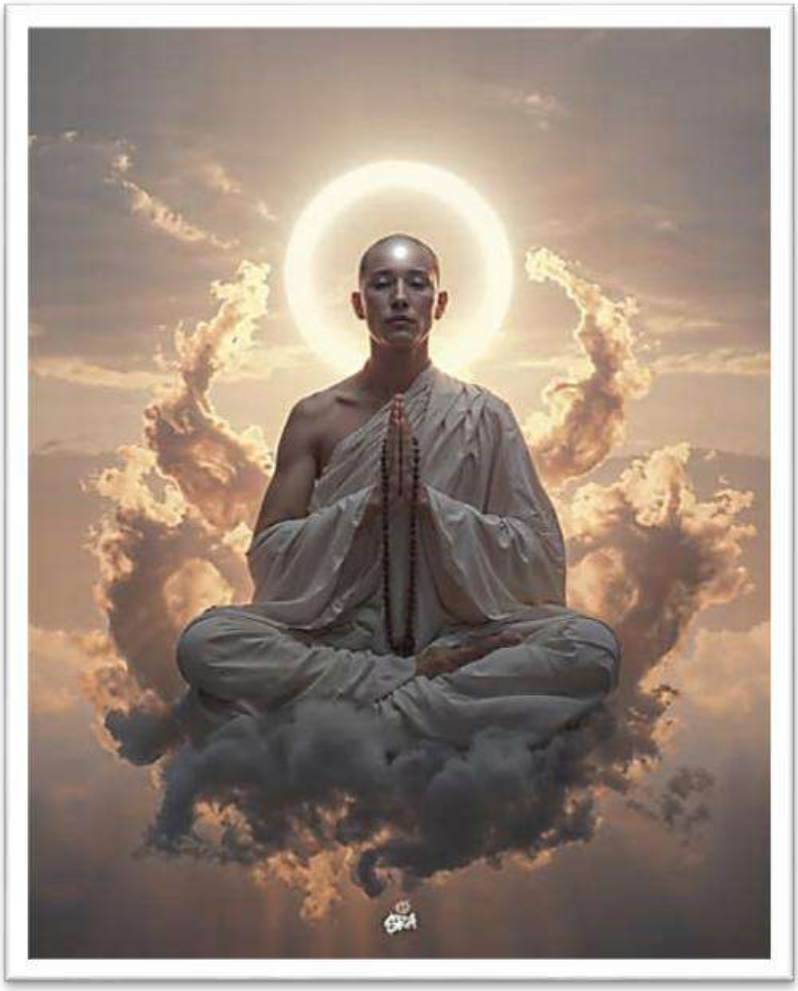

الموت الوشيك : لحظة الاقتراب من النهاية

الموت الوشيك هو ذلك **الحد الفاصل بين الحياة والموت كتعرض لحادث سير مثلاً ، اللحظة التي يقترب فيها الجسد من التوقف، بينما ترتفع أسئلة الروح عن معنى الوجود.** كثيرون يصفون شعورهم بالسلام العميق، أو مراجعة حياتية خاطفة، أو رؤية أحباء رحلوا، وكأن الكون كله يختزل في لحظة واحدة.

الطب العصبي يفسر هذه الظاهرة بأن الوظائف الحيوية للجسم تبدأ بالتوقف تدريجيًا :

- تباطؤ ضربات القلب والتنفس.
- انخفاض ضغط الدم.
- فيض من الأدرينالين و الأندروفينات.
- توقف بعض أجزاء الدماغ عن النشاط الكهربائي، بينما يزداد نشاط مناطق أخرى مسؤولة عن الرؤية والإدراك، ما يولد الرؤى أو الأحاسيس الخارقة ..

أمثلة تاريخية وتجارب بشرية :

الحضارات القديمة : المصريون اعتقدوا أن لحظة الموت هي انتقال الروح عبر نهر النيل إلى الحياة الأخرى.

الشعوب الأمريكية الأصلية : الموت ليس نهاية، بل رحلة روحانية تبدأ بالاختبار الروحي في مرحلة وسيطة قبل الوصول إلى عالم الأرواح.

الروايات الحديثة : الكثير من شهادات بشر اختبروا قرب الموت تصف رؤية نفق الضوء، أو شعورًا بالطفو فوق الجسد، أو مراجعة حياتية سريعة.

في الحالات الثلاثة نجد مرحلة وسيطة (نهر – برزخ – نفق) قبل الوصول إلى العالم الآخر .و الموت الوشيك يدعي أن من يختبره يعيش لحظات في هذه المرحلة الوسيطة قبل أن يعود إليه الوعي .

بين الإسقاط النجمي والموت الوشيك : رحلة الروح الأبدية

عند النظر إلى الإسقاط النجمي والموت الوشيك، نجد أنفسنا أمام ظاهرتين يثيران الإعجاب والدهشة، لكنهما أيضاً محط جدل علمي وفلسفي. **من جهة**، تجارب الأشخاص الحقيقية والتقاليد القديمة تدعي أن الروح أو الوعي قد يخرج عن الجسد، أو أن الإنسان يختبر لحظات قريبة من الموت تحمل رؤى ومشاعر عميقة تتجاوز المادة. **من جهة أخرى**، يفسر الطب العصبي والعلمي هذه الظواهر بتغيرات كهربائية وكيميائية في الدماغ، أو استجابة جسدية غير طبيعية، ما يطرح احتمال أن ما يُرى أو يُحس ليس سوى تجربة ذهنية وليست خروجاً حقيقياً للروح.

هذا التوازن بين التأكيد والتشكيك يدفعنا للتفكر بحذر : قد تكون

هذه الظواهر نافذة على أبعاد خفية للوعي، وقد تكون انعكاسات معقدة للدماغ والجسم. وما يجمعها في كل الأحوال هو أنها **تكشف عن حدود معرفتنا بالوعي والحياة والموت، وتذكرنا بأن التجربة الإنسانية أعمق وأوسع مما تفسره القوانين الفيزيائية وحدها.**

وفي النهاية، تبقى الحكمة أن نتقبل غموض هذه الظواهر دون خوف أو تهوين، وأن نتعلم من كل تجربة – سواء كانت جسدية، نفسية، أو روحانية – درساً عن طبيعة حياتنا :

(المعرفة الحقيقية تبدأ حين نعترف بحدود فهمنا، و الروح تجد رحلتها في التساؤل قبل أن تجدها في اليقين)

تناسخ الأرواح

في هذا الفصل سنقوم بمقاربة مفهوم تناسخ الأرواح المثير للجدل في مختلف بقاع الأرض و عبر مختلف مراحل التاريخ ، لكننا لن ننجز ذلك بطريقة تقليدية سردية كما بقية الفصول ، بل عبر قصة قصيرة تتناول الموضوع من مختلف الجهات ، فهيا بنا صديقي القارئ :

{ **برهان عبد القدوس** اسم يتردّد في الأوساط الثقافية كما يتردّد صدى الأجراس في وادٍ سحيق، لا يلبث أن يملأ كل زاوية بالرهبة والجلال. رجل بلغ السبعين من عمره، ومع ذلك ظلّ واقفاً كجبل لا يتآكل من عوامل التعرية، وكأن الزمن وهو يمرّ عليه قد خجل أن يترك بصماته. لم يكن الشيخوخة لتنال منه كما تنال من سواه، فقد عرف سرّ الحياة : كتابٌ يقرأه بتمعّن، جسدٌ يدرّبه بالرياضة، وروحٌ يحافظ عليها بغذاء متوازن وحكمة متينة. كانت ملامحه تحمل مهابة العُمر، لكن عينيه ظلّتا تلمعان ببريق الشباب، كأنهما نافذتان على ربيعٍ لا يشيخ أبداً.

عاش برهان حياته عاشقاً للثقافة، حارساً أميناً لمملكة المعرفة، ينهل من الكتب نهل الظمآن من النبع. قرأ الفلسفة كما لو كان يحاور سقراط، وغاص في التاريخ كما لو أنه يستمع إلى همسات الملوك الغابرين، وكتب في السياسة بصرامة المؤرخ ومرونة المفكر. عشرات المؤلفات حملت توقيعه، بعضها صار مراجع لا غنى عنها، وبعضها أثار جدلاً كما تثير العاصفة سكون البحر. ومع ذلك، لم يكن برهان يسعى للشهرة، بل للمعرفة، يرى نفسه خادماً أميناً للكلمة لا سيداً عليها.

لكن الحياة، بما تحمل من مفاجآت، لا تترك أحداً يسير مطمئناً بلا امتحان. ففي لحظة واحدة، وبحادثة عابرة، كُسرت دروعه جميعاً. كانت تلك حين تعرّضت حفيدته الوحيدة فاطمة من ابنته الوحيدة لحادثة هزّت كيانه من الأعماق. لم يكن مجرد حدث عابر في صحيفة، بل زلزالاً داخلياً جعل عمره يتضاعف عشرين سنة دفعة

واحدة. لم يعد الشيخ السبعيني شاباً في روحه كما كان، بل رجل يتوكأ على جرح لا يُرى.

فاطمة ذات السنين الثلاثة عشر ، النور الذي كان يشعّ في بيته، أصيبت بجرحٍ لا يندمل. دخلت في **متلازمة ما بعد الصدمة،** وصار العالم في عينيها غابة مظلمة. غاصت في **اكتئابٍ عميق،** تكسّرت ضحكاتها واختفت خطواتها المرحة، وبات الصمت هو اللغة التي تسكن بين جدرانها. كان برهان يراقبها بقلبٍ مثقوب، يشعر أن الكتب كلها عاجزة عن أن تمنحها الطمأنينة، وأن ثقافته الممتدة عبر عقود لا تساوي شيئاً أمام دمعة واحدة تسيل على خدها.

ومع ذلك، لم يكن الاستسلام من طبع هذه العائلة. التفّ الأصدقاء والأطباء حول فاطمة، مدّ المجتمع يده بالدعم، وجاء الطب النفسي كمنقذٍ جديد، يثبت مرة أخرى أن المعرفة الإنسانية لا تنحصر في الفلسفة ولا في التاريخ، بل تمتد إلى شفاء الأرواح أيضاً. بالأدوية المدروسة، وبالعلاج النفسي المتدرج، بدأت فاطمة تستعيد شيئاً من نورها. لم يكن الأمر سهلاً، لكن كل خطوة صغيرة كانت بالنسبة لجدها معجزة، وكل ابتسامة تعود إلى شفتيها كانت كأنها قيامة من موت.

حين كان برهان يجلس قربها، يرى أن هذه التجربة لم تفضحه فقط كجد ضعيف أمام دموع حفيدته، بل أعادت إليه درساً نسيه في زحمة الكتب : أن الإنسان لا ينهض بالثقافة وحدها، ولا يحيا بالفكر المجرد، بل يحتاج إلى شبكة من الحبّ، إلى يدٍ تمتد في لحظة الانكسار، وإلى طبٍ يعرف كيف يُعيد رسم ملامح الروح.

لقد كُتب في مسيرة برهان عبد القدوس أن يكون شاهداً على عصرين : عصرٍ كان يظن فيه أن الكلمة هي المنقذ الأوحد،

وعصرٍ آخر أدرك فيه أن الكلمة وحدها لا تكفي، بل لا بد من العلم والطب والدعم الاجتماعي كي يُعاد تشكيل الإنسان. وهكذا ظلّ الرجل، رغم جرحه العميق، متمسكاً ببهاء رسالته : **أن الثقافة ليست مجرد حروف تُسطّر، بل حياة تُعاش، وأن أعظم مؤلفاته لم يكن كتاباً كتبه، بل حفيدةً استعادت نورها بعد أن كاد يخبو.**

ها هو اليوم يجلس في مقعده الوثير بجوار الشرفة ، ذاك الذي التصق بجسده كما لو أنه امتداد لهيكله العجوز، في ركنٍ هادئ من مكتبته التي طالما كانت ملاذه الأثير. كانت الغرفة تغصّ برائحة الورق العتيق، رائحة تشبه عبق الزمن وهو يتكثّف في صفحاتٍ صفراء محمّلة بعرق القرّاء وأحلامهم و برائحة التبغ المعتق المتسربة من غليونه. وفي ذلك الركن العابق، انكبّ الرجل على قراءة كتاب بعنوان (**الروح بين الواقع و الاحتمال**) بقلبٍ لا يزال يرفّ بفضول تلميذٍ صغير، رغم أنّ شيب الشعر على رأسه ولُحمة التجاعيد حول عينيه تحكيان عن عقودٍ طويلة من القراءة والمكابدة الفكرية.

كان الكتاب من تأليف البروفيسور الأمريكي **سيكويا ستيفنز**، الشهير بمحاضرته المثيرة للجدل عن حقيقة الروح منذ أشهر و التي أتبعها بإصدار كتاب يفصل أكثر في الموضوع. وكانت عينا برهان تحتميان خلف نظّارات سميكة، أسمك من مجلدات الفلاسفة ، كلما انعكس الضوء عليها، بدا كأنها تختزن أرشيفاً من القرون الماضية، كما لو كانت بحد ذاتها مكتبةً ثانية فوق عينيه. تلك النظارات تحكي قصةً من دون لسان : قصة عمرٍ طويلٍ من القراءة المتواصلة، قصة عشقٍ مجوسية بين رجلٍ يلتهم المعرفة التهاماً وبين كتابٍ يتصبّب شقاءً ودهشةً في زمنٍ صار فيه الكتاب يتيماً مشرداً، لا أحد يعيره حضناً أو يدرك قيمته. لكن القدر، بما يشبه الطرافة المجرّدة، قرّر أن يُتبنّى هذا اليتيم من قبل عائلة عقيمة، لا أبناء ذكور لها سوى الكتب، فصار الورق فيها أعزّ من الدم، والحبر فيها أثمن من الذهب.

تصفّح برهان الصفحات كما لو كان يتوضّأ بالكلمات، يقرأ عن ماهية الروح ، عن **الاتحاد المقدس بين الجسدين السماوي و الأرضي في تجربة واقع افتراضي كونية** .. عن **الموت الوشيك وتجارب الأرواح عند عتبات الغياب، وعن الإسقاط النجمي حيث تُفلت الروح من قيد الجسد وتحلّق في سماواتٍ غير مرئية**، ثم يتدرّج الكتاب به إلى حديثٍ عن **تناسخ الأرواح**، كأنّ الكاتب يفتح أبواباً متلاحقة، كل بابٍ يفضي إلى آخر أكثر غموضاً وسحراً. كان البروفيسور قد بلغ منتصف الكتاب، وكانت أنفاسه مزيجاً من شغفٍ وتأملٍ وخوفٍ دفين؛ خوفٌ من أن يبلغ الصفحة الأخيرة ويُغلق الباب، إذ كان يرجو الله أن تطول متعته ولا تنقطع قبل أن يشبع قلبه من هذا السحر الماورائي.

في تلك اللحظة، اقتربت منه حفيدته فاطمة، الفتاة التي عادت إليه بعد محنةٍ أليمة. كانت زيارتها أشبه بمحاولةٍ أخرى للتعافي، نقاهةً

من جرحٍ غائر تركه حادثٌ كاد يسرق منها براءتها، يوم تجرّأ رجل غريب على انتهاك جسدها وروحها، مستغلاً الفوضى التي عصفت ببلادهم. فقد صار الوطن، مع غياب الرقابة والمحاسبة، غابةً تتجوّل فيها الذئاب بلا رقيب، بينما المواطنون عراة أمام مخالبها. وبرغم فداحة الجرح، كانت فاطمة ما تزال تحمل في عينيها بريق الطفولة، ذلك النور الذي يصرّ على النجاة مهما تسلّط عليه العتم.. فالبراءة لا تأتي من عذرية الجسد بل من عذرية الروح ، و روح فاطمة أرض بكر لم يتمكن أي مختل روحي من تدنيسها ..

وقفت أمام جدّها بوجهٍ نصف مشرق ونصف متهدّج، ثم طلبت منه أن يرافقها إلى الحديقة لتلعب معه الريشة. كان صوتها ينساب بخجلٍ يذيب الصخر، كأنها تستجدي الحياة أن تمنحها فرصةً أخرى للفرح. رفع برهان رأسه عن الكتاب، نظر إلى حفيدته، وفي عينيه مزيج من حنانٍ يشبه الصلاة، ومن حيرةٍ بين عالمٍ مكتوب على الورق وآخر يتنفس أمامه باللحم والدم. أحسّ في تلك اللحظة أنّ الكتب مهما بلغت من سحر، تبقى مجرّد حروفٍ صامتة، بينما هذه الطفلة بجراحها، بابتسامتها المرتجفة، كانت كتاباً آخر، كتاباً حيّاً كتبه القدر على جسدٍ صغير وروحٍ كبيرة.

حين نهض متكئاً على عصاه، بدا وكأنه يغادر عالماً كي يدخل آخر؛ يغادر « الروح » ودهاليز الكتب كي يدخل لعبة الريشة، لعبة تبدو للعين سطحية، لكنها في الحقيقة أكثر عمقاً من كل الكتب : فهي لعبة الحياة ذاتها، حيث تتقاذفنا كريشات بين السماء والأرض، بين الأمل واليأس، بين السقوط والتحليق.

فاطمة هي نقطة ضعف برهان الكبرى، السرّ الذي لا يخجل من الاعتراف به ولو بينه وبين نفسه. فمنذ أن أبصرت عيناها النور

في هذا العالم، باتت كفيلته في أن تروض كبرياءه الصلب، وأن تفتح الأبواب المغلقة في قلبه بلا استئذان. لم يكن في وسعه أن يرفض لها طلبًا، ولو كان بسيطًا كاللعب في الحديقة أو جلوسه بجوارها حين تخاف من الليل. كانت سعادتها بالنسبة له صلاةً لا يملّ من ترديدها، ولأجلها يرضى أن يضع العالم خلف ظهره.

لذا، حين طلبت منه أن يخرج معها، لم يتردد لحظة. أغلق كتابه ببطء، وكأنه يطوي بين صفحاته روحًا كامنة، ووضع البطاقة في مكانها كما يضع عاشقٌ موعدًا مؤجلاً مع حبيبته. كان الكتاب بالنسبة له عشيقة من الورق، لكن الحفيدة من لحم ودم، ومن ثم لا مجال للمقارنة. نهض بخطوات هادئة وخرج معها إلى الحديقة، حيث كان الهواء أكثر نقاءً من ذاكرة المدن، وحيث كانت الألوان تتوزّع كما لو أن الأرض تعزف لحنًا على لوحة خفية.

في البدء لعبا معًا الريشة، اللعبة التي تجيدها فاطمة ببراعة، وكانت خفة يديها تثير في نفسه دهشة متجددة : كيف تستطيع هذه الطفلة، بجسدها الصغير، أن تقهر ثقل الواقع وتحوّل ريشة بلا وزن إلى نجمٍ يلمع بين السماء والأرض؟ ظلّ يبادلها الضربات بحماس، يحاول مجاراة طاقتها، حتى أعلن جسده فجأة انسحابه من المباراة. آلام الظهر التي كثيرا ما يكون سببها القهر كما يقال في التراث الشعبي و ظهرت له بعيد حادثة فاطمة رفعت راية الاستسلام، وجعلته يبتسم برضا بواقع الحياة ، أنه لم يعد شاباً. رفع يده معلنًا أن هذه المباراة هي الختامية، مباراة ملحمية خاضها بكل ما تبقى فيه من فتوة، ثم صافح حفيدته وكأنه يهنئها على فوزٍ مستحق.

بعد ذلك، تحوّل اللعب إلى مشيٍ هادئ في الممر الحجري وسط الحديقة، حيث كانت الزهور تحرس الطريق بألوانها المتناثرة:

حمراء كالجمر، صفراء كالشمس، بيضاء كأجنحة الملائكة. وبين كل زهرة وأخرى، كان ثمة حديث يتدفق بين الجد والحفيدة. لم تكن المواضيع عابرة، بل تنقلت من هموم الحياة اليومية إلى أسئلة أكبر، عن معنى الفرح، عن الصبر، عن سرّ أن يحتفظ الإنسان بابتسامة حتى حين يتألم. كانت كلمات فاطمة طفولية بسيطة، لكن في بساطتها حكمة لا يصل إليها الكبار إلا بعد أعوام طويلة من التيه.

وبينما كانا يسيران، توقفت فجأة عند وردة زرقاء غريبة، بدت كجوهرة أسطورية بين أخواتها. كانت زُرقتها عميقة، كأنها تحبس في قلبها سراً قادماً من البحار أو من السماء. بدت الوردة وكأنها تسخر من علوم الوراثة التي عجزت عن تفسير كيف ظهرت بهذا اللون النادر، وكأنها رسالة من الطبيعة تقول : (ما زلت قادرة على كسر قوانينكم متى شئت .) اقتربت فاطمة منها بحذر، ثم مدّت يدها الصغيرة فقطفتها برشاقة، لتعود بها نحو جدّها.

قدّمتها إليه بابتسامة خالصة، ابتسامة تشبه صلاة صامتة أو وعوداً بالفرح رغم كل الجراح. مدّ العجوز يده المرتجفة وأخذ الوردة منها بحبور، فأحسّ للحظة أنه تلقّى هدية من السماء لا من

الأرض. رفعها إلى وجهه، وأغمض عينيه كأنّه يتنفس من خلالها حياة جديدة. وفي أعماقه شعر أنّ هذه الوردة الزرقاء لم تكن مجرد زهرة، بل رمزٌ لفاطمة نفسها : **نادرة، عصية على التفسير، تبرعم في قلب الخراب لتعلن أن الجمال قادر دائماً على النجاة و لو تكالبت عليه الأشواك .**

= شكرا لك فاطمة إنها وردة رقيقة و مذهلة مثلك تماماً .. لا غرابة أن يحب الورد ورداً.. يجمعكما معاً الرقة و الرائحة الزكية الهاربة من دكان عطار هشم الزمن كل ما فيه من قوارير عطرٍ .. و شكرا لك أيتها الوردة بدورك على التضحية بحياتك لإسعادنا .. أنت زرقاء بلون الكآبة كشمعة احترقت بألم أخرس لتنير الظلام من حولها ..

ابتسمت فاطمة :

= ياه كم أنت شاعري يا جدي .. أتتحدث إلى الوردة بحق؟

= بالطبع يا حفيدتي.. إنها كائن حي مثلنا تماماً و فيه روح كروحنا بالضبط .. عبق من نور السماء ..

= معقول ؟ روح في وردة !! كيف يمكن لذلك أن يكون حقيقيا .. ؟

= تبعا للكتاب الذي أقرأه الآن و أنصحك بشدة بقراءته ، فإن الروح قد لا تسمو بصاحبها إلى سماوات عليا بل تنصاع لرغبات جسده المادي الفاني فتعلق في زنزانة الحياة الدنيا لأجيال منتقلة بالتناسخ من جسم مادي لآخر .. قد يكون إنساناً فيسمى ذلك **النسخ** أو حيوان فيسمى **المسخ** أو نبات فيسمى **الرسخ** أو جماد فيسمى **الفسخ** .. و يحدد نوع التناسخ أفعال الإنسان في هذه الحياة الدنيا التي تتذبذب بين سمو و انحطاط..

هزت فاطمة ، التي كادت تخسر روحها منذ فترة قريبة قبل أن تستعيدها بشجاعتها و إصرارها اللامحدود ، رأسها باعتراض :

= الجماد له روح ؟ مستحيل ؟

= لا شيء مستحيل في هذا الكون .. و كل مادة من حولنا قادرة على الاقتران بجسد سماوي كي يعيش تجربتها .. هكذا يفشي الكتاب بأسراره ..

= غريب .. من الممكن أن أفهم تجاوزا أن الحيوان له روح فهو يأكل و يشرب و يتكاثر و يتألم و يفرح .. هو كالإنسان لكن بملكات عقلية أقل لكن كيف للنبات مثلا أن يملك روحاً إنه لا يقوم بأي من ذلك ؟

= هذا غير صحيح عزيزتي .. النبات يقوم بكل ذلك أيضا .. فهو يولد من البذرة و يتغذى من التربة و ينجذب نحو الضوء و يتكاثر بدوره و أخيرا ييبس و يموت .. أما الفرح و الحزن فقد أثبت العلم أن النبات الذي يعامل بلطف و محبة و يعرض للموسيقا ينمو أكثر و أسرع من غيره .. كذلك فالنباتات تتألم و تصرخ و حتى أن بعضها يبكي ..

= يبكي و يتألم ؟ إنه شيء أقرب للخيال !

= أجل ... إنه أقرب لميثولوجيا إغريقية .. لكنه واقعي تماماً .. فقد نجح علماء لأول مرة في التاريخ بتسجيل أصوات النباتات عند تعرضها للإجهاد أو القطع أو غيرها من الظروف الصعبة، في مؤشر على أن النباتات لا تعاني بصمت، بل تصرخ أيضاً..

= و لماذا لا نسمعها إذاً ؟

= لأن الموجات فوق الصوتية التي تصدرها النباتات يبلغ ترددها الموجي نحو **20** ألف إلى **100** ألف هرتز ، أما الإنسان فيمكنه

سماع الأصوات التي ترددها بين **20** و**20** ألف هيرتز فقط، مع ذلك فبعض الحيوانات مثل الخفافيش والفئران ربما تستطيع سماع صوت النباتات.. ليس ذلك فحسب بل أن النباتات الأخرى تسمع صراخ النباتات المتأذية و تفهم سبب الصراخ من طبيعة الترددات فترتكس للعامل المؤذي و تحمي نفسها منه ..

= مذهل ! و كيف يتم ذلك ؟

= مثلا أثبتت التجارب و الملاحظات العلمية إنتاج النباتات التي تلقت إشارات من نباتات أخرى تضررت من هجوم الحشرات عليها بشكل بربري للمزيد من المواد الكيميائية الدفاعية لتساعدها في مقاومة ذلك الهجوم، أما تلك التي تلقت موجات من نباتات تعرضت للاختناق جفافاً مثلًا فقد أغلقت مسامها لمنع فقدان الماء أكثر .. مما يعني أن النباتات يمكنها سماع وفهم أصوات جيرانها من النباتات وإعداد نفسها لنفس الضغط الواقع عليها .. أكثر من ذلك لقد اكتشف العلماء أن هنالك أنواع عديدة من النباتات تذرف الدموع حرفيا عندما تتألم كقطيرات الندى على خد الورود ..

= سبحان الله .. كم هذا مذهل ! .. لقد قلبت مفاهيمي المسبقة جدي كزلزال عنيف .. بعد كل ما ذكرت فإن للنبات روحا و لا شك فهي تفهم كل شيء لكن بطريقتها الخاصة .. و أضيف إلى كلامك أن الجماد بنفسه ربما يصرخ عندما يتألم كطرق المعدن أو نحت الصخر أو قطع الخشب .. كل ذلك يصدر صوتا خاصا .. ربما هو أنين متألم يلفظ أنفاسه المعذّبة..

= رائع رائع .. أحسنت فاطمة .. إنه توصيف بليغ للغاية .. إن روح الله بالفعل متغلغلة في كل ثنايا الكون حولنا .. نور سماوي يعبر موشور الحياة ليتشعب إلى ألوانها البهيجة في كل منا.. و ذات يوم ستجتمع هذه الألوان ثانية على مائدة العشاء الأخير لتعلن قيامة

النور الأوحد مجدداً أبيض كطهارة الثلج إلى السموات العلا ..

كانا قد وصلا إلى نافورة قديمة تتوسط الحديقة بمجسم ملاك طائر من الحديد الذي اهترأ مع الزمن و الأكسدة فبانت عيناه و كأنهما تبكيان صداً أحمر اللون .. جلسا على محيط النافورة و وضع السيد برهان الوردة الزرقاء على وجه المياه و كأنها جثمان هندوسي يودعه أحباؤه في نهر الغانج لآخر مرة قبل إحراقه ..

= وهل هنالك دلائل في الأديان تشير إلى تناسخ الأرواح ؟

= بالطبع .. هنالك آيات قرآنية كثيرة تتحدث عن التناسخ

مثل قوله تعالى :

(نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون)

و كما تلاحظين يقول الله .. ننشئكم في ما لا تعلمون أي في غير

الجسد البشري ..

= مذهل ! و غير هذه الآية ..

= قول الله تعالى :

(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)

= أي أن الإنسان يموت في هذه الحياة أكثر من مرة .. مما يعني أنه يعيش أكثر من حياة ..

= تماما .. و أكثر من ذلك قوله تعالى :

(لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى)

ما رأيك بها ؟

= آية دامغة .. تشير إلى أن المؤمنين بحق الذي يبتليهم الله في هذه الدنيا بشتى أنواع الاختبارات و مختلف صنوف المآسي التي تذيبهم كالحديد الهندي قبل أن يصاغ طائعاً على هيئة جديدة تبردها نسائم الجنان لتأخذ صورتها الأخيرة .. يموتون مرة وحيدة و ينتقلون بعدها إلى العالم الآخر على تلك الهيئة الملائكية .. أما غيرهم ممن لحقوا شياطين الدنيا و إغواءاتها فأسرفوا على أنفسهم من متعها كذلك الوحش الذي اعتدى عليّ منذ أشهر ، فهم يعيشون أكثر من حياة في أكثر من شكل حتى تتصفى أرواحهم و تؤطر بأشكال أرقى فتصبح نقية مؤهلة للعيش في العالم الآخر ..

= تماما فاطمة .. ذاك الوحش يليق به أن يعود للحياة على هيئة خنزير متمرغ في الوحل كما يتمرغ الآن في وحل الشهوات الدنيئة .. إنك تمتلكين بذرة شاعرة في أعماقك عليك رعايتها لتنبت منها حديقة أدبية كحديقتنا هذه.. و هنالك آيات كثيرة أخرى عن النسخ

و أيضا عن المسخ إلى كائنات أدنى من الإنسان كالقردة و الخنازير و غيرها فالقرآن فصل كل شيء و فيه كهذه الحديقة الغناء زهرة من كل بستان من بساتين الحياة ..

= و هل يؤمن الناس جميعاً بفكرة التناسخ ؟

= لا طبعا .. هنالك من يؤمن و هنالك من يشكك و هنالك من لا يؤمن أبدا ..

= و ما هي الديانات التي تؤمن بها ؟

= كثيرة .. الهندوسية، السيخية، البوذية، الطاوية، الفلسفة اليونانية خاصة أفلاطون و فيثاغورس ، الدرزية ، اليهودية (مبدأ الكابالا) ، العلويون ، وديانات السكان الاصليين الأمريكيين (المايا و الانكا)..

وقفا من جلستهما عند النافورة و تابعا سيرهما نحو أكمة الأشجار في أطراف الحديقة ..

= و هل هنالك قصص معروفة و مشهورة عن أشخاص تناسخت أرواحهم ؟

= بالطبع التاريخ يعج بمثل هذه القصص .. لكنني أذكر حالياً واحدة فقط أثارت دهشتي في شبابي .. عن رجل إنجليزي يدعى **آرثر فلاورديو** من مواليد عام **1906** م عاش حياته كلها في إنجلترا لكن كان لديه دائما ذكريات عن انه حارس معبد منحوت وسط الصحراء و أنه قتل هنالك غدراً .. و في أحد الأيام شاهد الرجل فيلما وثائقيا عن مدينة البتراء القديمة بالأردن فتعرف عليها مباشرةً أنها المكان الذي يتذكره من حياته السابقة ..و قد أجرى عالم آثار يعمل في البتراء مقابلة معه لاختبار ادعاءاته .. فكان وصفه للمدينة دقيقًا جدا بشكل لا يوصف كما انه وصف عدداً من

الاماكن البارزه فى البتراء التي لا يعرفها سوى الخبراء .. إضافةً إلى وصفه المكان الذى قتل فيه بدقة مذهلة و كأن الحادثة وقعت له من سويعات لا أكثر ..

فاطمة بدهشة :

= مذهل !! لكن هذه القصة تفترض سؤالاً هاماً جدي العزيز ..

= تفضلي فاطمة ..

= إن أعداد النباتات و الحيوانات و الحشرات و الجماد أكبر بكثير من عدد البشر فكيف سيتم تناسخ الأرواح مع كل هذه الأعداد ؟!

= يا له من سؤال منطقي و رائع عزيزتي.. و الجواب عليه ببساطة يبدأ من فكرة أخرى طرحها مؤلف الكتاب الذي أقرأه ، و تنص على أن **كل جسد أرضي منا يقترن بجسد سماوي يحلم بما يجري في حياتنا الدنيوية ، و عندما ينام الجسد السماوي يستيقظ الجسد الأرضي المقترن به لتبدأ الحياةفي الدنيا ، و عندما يموت الجسد الأرضي ، يستيقظ الجيد السماوي و ينتهي الاقتران لتبدأ الحياة في الآخرة** .. و الجسد السماوي قادر على الاقتران بأي مادة أرضية (إنسان – حيوان – نبات – جماد) لكن عدم اقتران أي جسد سماوي بأي مادة على الأرض لا يعني عجز هذه المادة عن الوجود .. فمثلاً هذه النبتة الجميلة في الزاوية ربما ليست مقترنة بأي جسد سماوي ، لكنها ستنمو و تتابع حياتها بشكل طبيعي دون أن يعي أي جسد سماوي لحياتها ، بل أجسادنا البشرية نفسها ، ستتابع حياتها بشكل طبيعي حتى في غياب الاقتران مع أي جسد سماوي ، فالغاية من الاقتران هو اقتران الذكريات لتعلم الدروس لا غير.. فالاقتران ليس شرطاً للوجود .. لكن في حال أراد الله لأحد الأجساد السماوية أن تقترن بمادة أخرى تحددها طبيعة أعمال جسده الأرضي السابق ، فسيختار له المادة المناسبة في المكان و الزمان المناسبين ليخوض تجربة معينة بغايات هادفة

محددة ..

= منطقي للغاية .. سؤال آخر ..

= و هو ؟

= هنالك بشر ادعوا أن أرواحهم غادرت أجسادهم و رأت كل شيء من حولها .. كما في تجربتي الموت الوشيك و الإسقاط النجمي .. فما تفسير ذلك إن كانت الروح مجرد اقتران بين جسد سماوي و كيان أرضي ؟

= رائع ، نقطة غاية في الأهمية .. و يمكن الإجابة على سؤالك بتحليل هاتين التجربتين ببساطة .. فالإسقاط النجمي يحدث عند وصول الجسد إلى حالة نفسية معينة تقترب من حالة النوم ، لذا فهو بالمحصلة شكل من أشكال الأحلام ..أما الموت الوشيك فهو عبارة عن هلوسات دماغية تحدث نتيجة فيض من الأدرينالين و الإندروفينات المتحرر في ظروف الشدة كالتعرض لحادث مثلاً ، أي أنها تندرج بدورها تحت تصنيف الأحلام التي تستوحي واقعاً معيناً تبعاً لما يسمعه الدماغ من حوله ، فإن تعرضت لحادث مثلاً و نقلت إلى غرفة الإسعاف فدماغك باللاوعي سيسمع الأطباء و الممرضين يتكلمون من حولك فيقوم الدماغ ببناء حلم افتراضي على تفاصيل هذا الكلام و يتخيل صورة غرفة الإسعاف و العاملين فيها .. و الحقيقة أنه ما من دلائل و براهين مؤكدة على صحة هاتين التجربتين بالأساس ، و يبقى استعمالهما مقتصراً على الأعمال الأدبية و السينمائية لا أكثر .. و بجميع الأحوال هاتين التجربتين هما في النهاية شكل من اشكال الأحلام أي حالة روحية تماماً كالحلم الذي يراود أجسادنا السماوية و نترجمه إلى أحداث بأجسادنا الأرضية .. كما وضح البروغيسور سيكويا في كتابه ..

= منطقي !! ..

= إذن كخلاصة لما سبق ، الجسد السماوي قادر على الاقتران بأي مادة على الأرض (إنسان ، حيوان ، نبات ، حشرات أو حتى جماد) فيخضع لما تخضع له ، لكن هذا الاقتران ليس شرطاً لوجود و حياة المادة .. و هذا ببساطة هو مبدأ تناسخ الأرواح ..

صمت الجد للحظات ثم سأل :

= هل سبق لك و أن شاهدتي فلم ماتريكس الأيقوني الشهير عزيزتي فاطمة ؟

= بالطبع ، فلم مثير ..

= و فيه تضمينات فلسفية غاية في الأهمية ، في أحد مشاهد الفلم يتقابل نيو مع مورفيس لأول مرة ، فيعرض عليه مورفيس حبتين حمراء و زرقاء ..

الزرقاء تمثل عالم الماتريكس الوهمي الذي يكافئ الدنيا التي نعيش فيها .. و الحمراء تمثل عالماً آخر حقيقياً يمثل العالم الآخر الذي ستستيقظ أجسادنا السماوية فيه .. و كان على نيو أن يختار إحدى الحبتين بحكمة .. فالقرار ليس بسيطاً بل ستترتب عليه حياة

كاملة لاحقة ، و هذا الاختيار يكافئ قرار الإنسان في الدنيا هل سيحياها بأخلاق و عمل صالح فيذهب إلى العالم الآخر مباشرةً ، أو يتبع فيها شهواته بلا عقل أو ضمير فيعلق في الدنيا مجدداً عبر دورة جديدة من التقمص .. إنها مسألة مصيرية لا تقبل القسمة على اثنين ..

= تشبيه مذهل !!

كانا قد وصلا إلى شجرة في طرف الحديقة فاتكأ الجدّ على جذعها

= يقال بحسب الأسطورة أن أول إشارة إلهية للتناسخ كانت عندما قتل قابيل أخاه هابيل من الحسد و الغيرة .. فنبتت في مكان جريمته شجرة شهيرة تدعى حاليا **شجرة الأخوين** نسبة إليهما .. و هذه الشجرة تذرف سائلا أحمر كالدم عندما نقطعها في الواقع .. و تنتشر بشكل أساسي في **جزيرة سوقطرى اليمنية** .. و يقال أنها كانت وعيداً من الله لقابيل بأنه سيخلق من جديد شجرة تبكي دما ندما على ما فعله .. طبعا لا إثبات لهذا الكلام ..

= هذا كلام مخيف و مطمئن في نفس الوقت ..

= و كيف ذلك ؟؟

= مخيف لأن الإنسان قد يعيش ثانية في أشكال حياة أخرى يجهل تفاصيلها بعد .. و مطمئن لأن الله يمنح الإنسان فرص أخرى للارتقاء بروحه و تخليصها كتعويض لما فاته في فرص سابقة لم يحسن استغلالها ..

ابتسم الجد بإعجاب :

= تماماً .. إنه **الخوف الوحيد الباعث على الاطمئنان في الحياة** .. فتاة بذكائك و إيمانك و حكمتك لن تكسرها أي صدمة من أي نوع ، اليوم ارتحت بحق بعد أن تأكدت بأنك تجاوزت أزمتك باقتدار و بشكل نهائي.. أنت قوية كصخرة صرخت لحظة من الألم ثم تحطمت عليها الآلام و الرزايا .. تعالي الآن نعود إلى المنزل لتناول الغداء معاً قبل عودتك إلى المنزل .. و قبل خروجي أنا إلى شاطئ البحر كعادتي مساءً .. }

استحضار الأرواح

منذ أن أدرك الإنسان أنّ الموت لا يُغلق الأسئلة بل يفتحها، وأن الغياب لا يُطفئ الحضور بل يغيّر شكله، وُلدت فكرة استحضار الأرواح. لم تكن الفكرة نزوةً ساذجة ولا خرافةً عابرة، بل محاولة وجوديّة عميقة لردم الهوّة بين عالمين : **عالم المرئي الذي نحياه، وعالم اللامرئي الذي نتخيّله أو نخشاه أو نشتاق إليه.**

استحضار الأرواح هو، في جوهره، حنينٌ مُقنَّع بالطقس، وخوفٌ متخفٍّ في لباس المعرفة، ورغبة قديمة في أن نسمع من الموتى ما عجز الأحياء عن قوله.

كيف بدأت الفكرة ؟ الجذور الأولى للنداء

في المجتمعات البدائيّة، لم يكن الموت نهاية، بل انتقالًا إلى حيّزٍ آخر من الوجود. **الشامان في سيبيريا، وكهنة مصر القديمة، وعرافو بابل**، جميعهم آمنوا بأن الأرواح لا تفنى، بل تُقيم في طبقة خفيّة من الكون، يمكن – بشروطٍ خاصّة – التواصل معها.

في **مصر الفرعونيّة**، لم يكن استدعاء الروح فعلًا طارئًا، بل جزءًا من نظام كوني متكامل؛ فـ«**الكا**» و«**البا**» كانتا بعدين للروح يمكن مخاطبتهما عبر نصوص وتعويذات. أمّا في **اليونان القديمة**، فقد عرفت المعابد ما سُمّي بـ«**النيكرومانسي**»، حيث يُستدعى الموتى

طلبًا للنبوءة، كما ورد في أسطورة أوديسيوس.

ومع **العصور الوسطى**، دخل استحضار الأرواح منطقة محرّمة، فارتبط **بالسحر الأسود والهرطقة**، لا لأن الفكرة اختفت، بل لأن الدين الرسمي لم يعد يحتمل وسطاء بين الإنسان والغيبيات.

تطوّر الفكرة في العصر الحديث

في القرن التاسع عشر، عاد استحضار الأرواح بثوبٍ جديد، هذه المرة تحت اسم الحركة الروحيّة (**Spiritualism**). لم تعد الطقوس تُقام في المعابد أو الكهوف، بل في **غرف الجلوس**، على **موائد مستديرة**، بحضور **أناس متعلّمين، وأطباء، وعلماء**.

ظهرت «**الوسائط الروحيّة**» اللواتي يزعمن القدرة على التواصل مع الموتى، وانتشرت الجلسات في أوروبا وأمريكا، حتى شارك فيها مفكرون كبار مثل آرثر كونان دويل مبتكر شخصية شارلوك هولمز، الذي رأى فيها دليلًا على خلود الروح، لا مجرّد خدعة.

بروتوكول الاستحضار – الوصف الثقافي لا التعليم العملي

تاريخيًا، تشترك طقوس استحضار الأرواح – على اختلاف الثقافات – في عناصر رمزيّة متكرّرة، يمكن وصفها وصفًا تحليليًا دون تحويلها إلى خطوات عمليّة :

◉ **العزلة** : فصل المكان عن ضجيج العالم، بوصفه شرطًا نفسيًا قبل أن يكون طقسيًا.

◉ **الوسيط** : شخص يُعتقد أنّه أكثر حساسيّة للإيحاء أو للحالات الذهنيّة غير الاعتياديّة.

◉ **الدائرة** : رمز الاكتمال والحماية، لا باعتبارها أداة سحرية بل لغة رمزية للسيطرة على الخوف.

◉ **النداء** : كلمات أو أسماء تُستخدم بوصفها مفاتيح ذهنيّة، لا بالضرورة بوابات كونيّة.

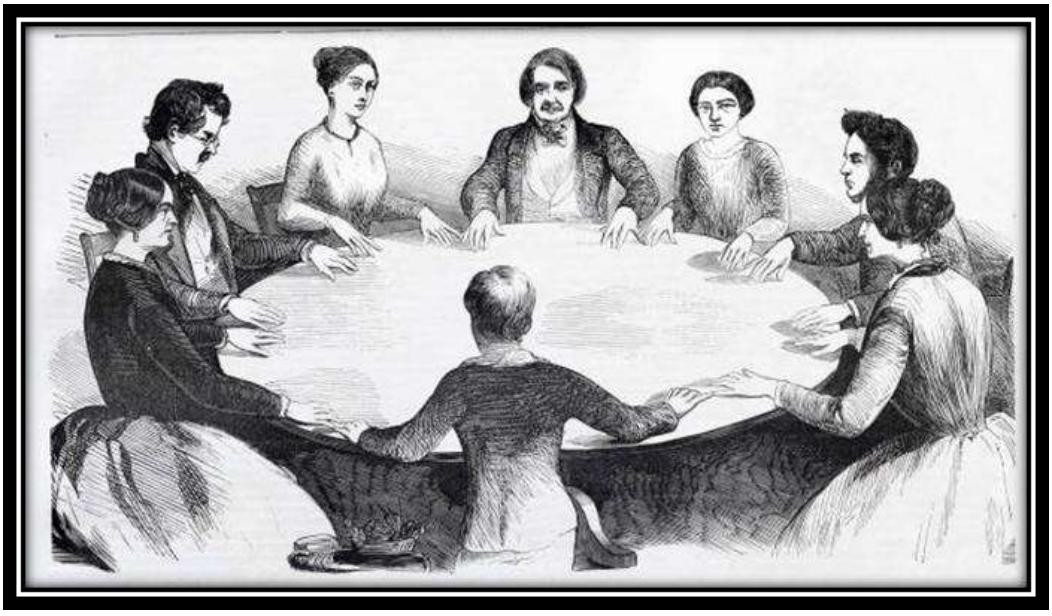

من منظور فلسفي، هذه الطقوس لا «تستدعي الأرواح» بقدر ما تستدعي حالة نفسيّة جمعية تجعل المشاركين مستعدين لتفسير أي إشارة بوصفها استجابة من العالم الآخر.

التفسير العلمي – ماذا يقول العقل البارد ؟

العلم لا ينفي التجربة، لكنه يعيد تفسيرها. وقد قدّم عدّة مفاتيح لفهم ظاهرة استحضار الأرواح منها :

❁ **الإيحاء الجمعي** : حين يتوقّع العقل شيئًا، يبدأ في رؤيته وسماعه.

❁ **التفكك النفسي** (**Dissociation**) : حالات ذهنيّة يفقد فيها الشخص الإحساس بالذات الواحدة، فيظهر صوت أو شخصية أخرى.

❁ **اللاوعي** : كثير مما يُنسب إلى «الأرواح» قد يكون معلومات دفينة مخزونة في العقل دون وعي مباشر.

❁ **الخداع الواعي أو غير الواعي** : تاريخ طويل من الحيل المسرحيّة التي فسّرت عددًا كبيرًا من الظواهر.

ومع ذلك، يعترف العلم بحدوده : فغياب الدليل ليس دليلًا على الغياب، بل على أنّ الأسئلة أكبر من أدواتنا الحالية.

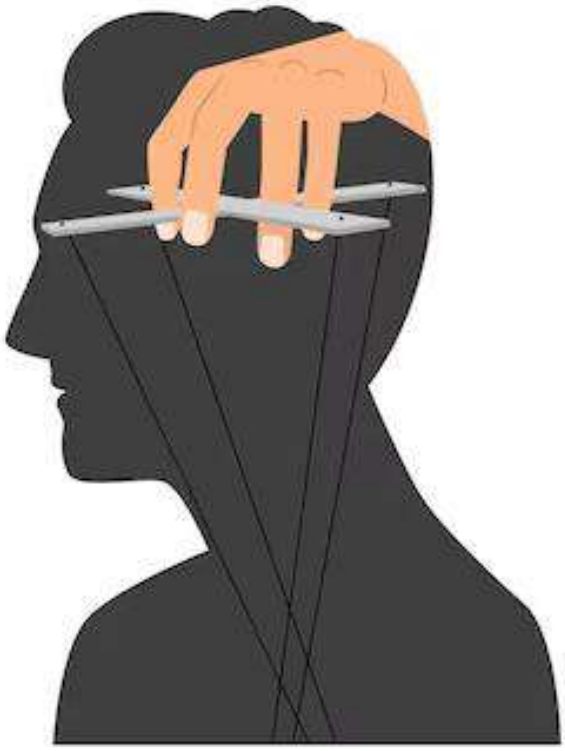

قصص حقيقيّة شهيرة من صفحات التاريخ

الأخوات فوكس (1848 – الولايات المتحدة)

يُعدّ منزلهن الشرارة الأولى للحركة الروحيّة الحديثة. أصوات طرقٍ غامضة، تواصل مزعوم مع روح قتيل. لاحقًا، اعترفت

إحدى الأخوات بأن الأصوات كانت خدعة، لكنّ الاعتراف لم يُنهِ الإيمان، بل كشف حاجة البشر إلى التصديق.

جلسات فيكتور هوغو (جزيرة جيرزي)

خلال منفاه، شارك هوغو في جلسات استحضار أرواح، ودوّن محاضرها بنفسه. الغريب أنّ النصوص التي نُسبت للأرواح كانت تحمل بصمته الأدبية، ما جعل النقّاد يرون فيها حوارًا داخليًا عبقريًا لا تواصلًا خارقًا.

آرثر كونان دويل

مؤلف شيرلوك هولمز، رمز العقل والتحليل، كان من أشد المدافعين عن استحضار الأرواح، خاصة بعد وفاة ابنه. قصته تذكّرنا بأن الذكاء لا يُلغي الألم، وأن الحزن قد يكون أقوى من المنطق.

و في العصر الحديث كتب الأستاذ المصري **رؤوف عبيد** سلسلة كتب ضخمة و قيمة عن استحضار الأرواح تحت عنوان :

(**الإنسان روح لا جسد**)

جمع فيها كثير من قصص استحضار الأرواح الموثقة بالأسماء و التواريخ و الحوار ، و هي كتب شيقة و ممتعة و مذهلة .

بالختام :

استحضار الأرواح يقف على تخومٍ دقيقة بين الإيمان والوهم، بين الحاجة الإنسانية العميقة للمعنى، والقدرة المحدودة للعقل على التمييز حين يتألّم.

ربما لا يكون السؤال الحقيقي : **هل نجح الإنسان في استحضار الأرواح ؟**

بل : **لماذا أصرّ، عبر العصور، على المحاولة ؟**

الحكمة الفلسفية تقول :

لسنا نخاطب الموتى لأنهم يملكون الإجابة، بل لأن صمتهم يعكس أسئلتنا نحن. وما دام الإنسان كائنًا يسأل، فسيظلّ ينصت... حتى لو لم يأتِه الرد.

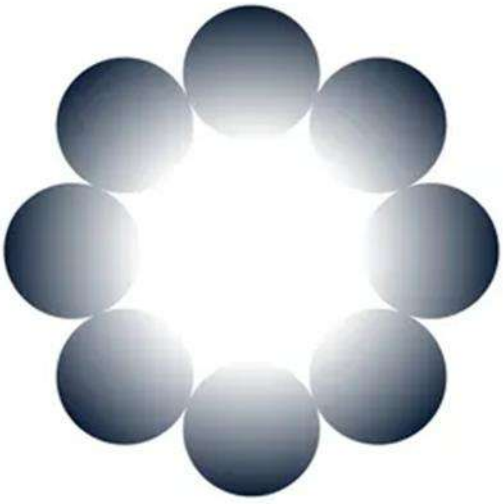

الروح في عالم الفن

منذ بدايات الإنسان، ظلّ هاجس الروح يطارده : ما هي؟ من أين تأتي؟ وإلى أين تمضي؟. ولأن اللغة وحدها عجزت عن وصف هذا الكائن الخفي، لجأ الإنسان إلى الفن ليعطي للروح جسداً يمكن أن يُبصر ويُسمع ويُلمس. لم يكن الفن مجرد زينة، بل كان استدعاءً لجوهر لا يُحاط به : الروح التي تتسرب إلى اللون والنغمة والحجر والكلمة والصورة المتحركة.

هكذا، صار الفن أشبه بمرآة تحاول أن تعكس ما لا يُرى. وفي كل حقبة وحضارة، وُجدت محاولات لتجسيد الروح مباشرة، دون استعارات معقّدة. فنرى لوحات صريحة عن الروح، تماثيل نُحتت لتسكنها الأرواح، موسيقا تُعزف لراحة الأرواح بعد الموت، نصوصاً فلسفية صريحة عن نشأة الروح ومصيرها، وأفلاماً تجعل الروح بطلاً رئيسياً في أحداثها.

عندما تنثر ألوان الروح على قماشة ...

في اللوحات، يصبح اللون نافذة الروح. ولعلّ أشد اللوحات صراحة في هذا الباب هي لوحة الفنان **بول غوغان** ، **روح الموت تتأمل** ، حيث نرى امرأة بولينيزية مستلقية بينما ظلّ أسود، رمز الروح أو الموت، يقف خلفها متأملاً. هنا الروح ليست فكرة مجردة، بل حضور بصري داهم، يذكّرنا بأن كل جسد تحرسه عين أخرى لا تُرى.

أما **فاسيلي كاندينسكي**، فقد أعلن بلا مواربة أن هدفه هو رسم الاهتزاز الروحي، وأطلق على بعض أعماله أسماء مباشرة مثل : **ارتجال الروح** .. وكأنه أراد أن يحوّل اللوحة إلى عزف صوفي بالألوان.

خذ مثلاً آخر **لوحة روح الوردة** **لجون ويليام ووترهاوس** : امرأة تستنشق الوردة حتى كأنها تستنشق سرّ الوجود نفسه. هنا لا نرى

مجرد وردة، بل نرى اتحاد الروح بالطبيعة، ذلك الامتزاج الذي يجعل الحياة نفسها صلاةً صامتةً.

عندما تنحت الروح بإزميل ..

النحت، في عمقه، لم يكن يوماً مجرد تشكيل للحجر، بل كان محاولة لفتح ممر للروح كي تسكن في المادة. **أوغست رودان** في عمله **روح الأبدية** جعل الروح جسداً مستلقياً يبدو كأنه يتهيأ للطيران. والأنظمة الجنائزية القديمة، مثل تماثيل مصر الفرعونية، نُحتت لتكون أوعية تستقبل **الكا** أي الروح التي تعود لتسكن الجسد في العالم الآخر.

أما في الهند، فقد كان النحت وسيلة لتجسيد الروح الكونية في صور الآلهة، **كتمثال شيفا ناتاراجا**، حيث تُرى الروح راقصة في حركة كونية لا تنتهي.

عندما يعزف الإنسان على قيثارة الروح ...

وإذا كان النحت يمنح الروح جسداً ملموساً، فإن الموسيقا تمنحها جناحين. استمع إلى **القدّاس الألماني** للفنان **برامز**، وستشعر أن النغمات ليست ألحاناً بل رسائل مواساة للأرواح في رحلتها بعد الموت. أو أنصت إلى عزف **كارلوس ناكاي** على ناي الهنود الحمر في مقطوعته **روح الهنود**، حيث يتحول الهواء الخارج من الناي إلى أنين الروح وحنينها.

وفي الموروث الديني، لا تُفهم التراتيل المسيحية أو الأناشيد

الصوفية إلا كأصوات موجّهة مباشرة إلى الروح : ليست أغانٍ بل مفاتيح سرية توقظ الداخل.

عندما تصاغ الروح بالكلمات ...

الأدب هو المكان الذي نطقت فيه الروح بالكلمات. في **رواية حي بن يقظان لابن طفيل** نجد قصة كاملة عن ميلاد الروح، رحلتها في طلب المعرفة، وانتهائها إلى الاندماج بالمطلق. وفي **فاوست لغوته**، يظهر الصراع بين الروح المشتاقة للخلاص والنفس الميّالة إلى السقوط. أما **أشعار جلال الدين الرومي**، فهي إعلان صريح : **أنا لست جسداً، أنا روحٌ تحلّق ..**

عندما تعيش الروح في الشاشات ...

أما السينما، فكانت المفاجأة الكبرى في القرن العشرين : صورة متحركة للروح ذاتها. في فيلم (**الشبح**) ، الروح هي البطل الذي يظلّ بجوار أحبّته حتى بعد الموت. وفي فيلم **أي أحلام يمكنها أن**

تأتي ؟ نعيش تجربة الروح في العالم الآخر بين الجنة والجحيم، حيث يصبح الخيال تجسيداً مباشراً للروح.

الأكثر وضوحاً هو فيلم **الروح** لشركة ديزني/بيكسار ، الذي جعل الروح شخصية محورية، وعرض رحلتها قبل الميلاد وبعد الموت، في قالب فلسفي مبهر يصل الكبار والصغار. ولعلّ أجمل ما في السينما الآسيوية هو فيلم **المخطوفة لميازاكي**، حيث الأرواح ليست رمزاً، بل كائنات حاضرة تتفاعل مع البطلة، لتثبت أن العالم الآخر ليس بعيداً بل متداخلاً مع عالمنا.

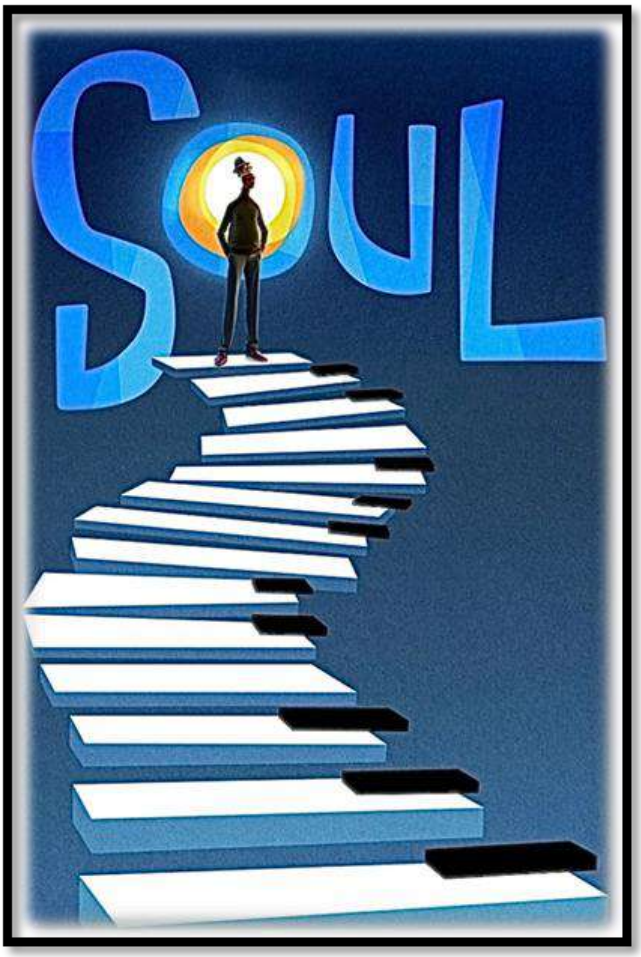

حين ننظر إلى هذه الأعمال المتفرقة ـ لوحة أو تمثالاً أو معزوفة أو نصاً أو فيلماً ـ ندرك أن الروح لم تكن يوماً موضوعاً ثانوياً للفن، بل هي جوهره. كل فنان حاول أن يضع يده على الخفيّ، أن يمنح الروح جسداً، أو يحررها من الجسد. الرسم جعلها لوناً،

النحت جعلها حجراً يتنفس، الموسيقا جعلتها نغمة تهزّ القلب، الأدب جعلها كلمة تنطق، والسينما جعلتها صورة متحركة تعيش بيننا.

الروح، إذن، ليست فكرة ميتافيزيقية بعيدة، بل حضور دائم في تاريخ الإبداع. إنها الحقيقة التي يلتف حولها الفنانون عبر العصور، لأنهم يعرفون ـ بوعي أو دون وعي ـ أن الإنسان لا يُقاس بجسده، بل بما يسكن هذا الجسد من سرّ لا يفنى.

وحين نتأمل هذه الأعمال، ندرك أن الفن لم يكن في جوهره إلا محاولة لتوثيق وعد الروح : أن هناك ما هو أعمق من المادة، وأن الحياة، رغم هشاشتها، مسكونة بما هو خالد.

الروح ...

محتوى الكتاب

- الروح في جسد التاريخ
  - نفخة من روح الله
- أفاتار
  - الروح القدس
- رموز روحية
  - الإسقاط النجمي و الموت الوشيك
- تناسخ الأرواح
  - استحضار الأرواح
- الروح في عالم الفنّ